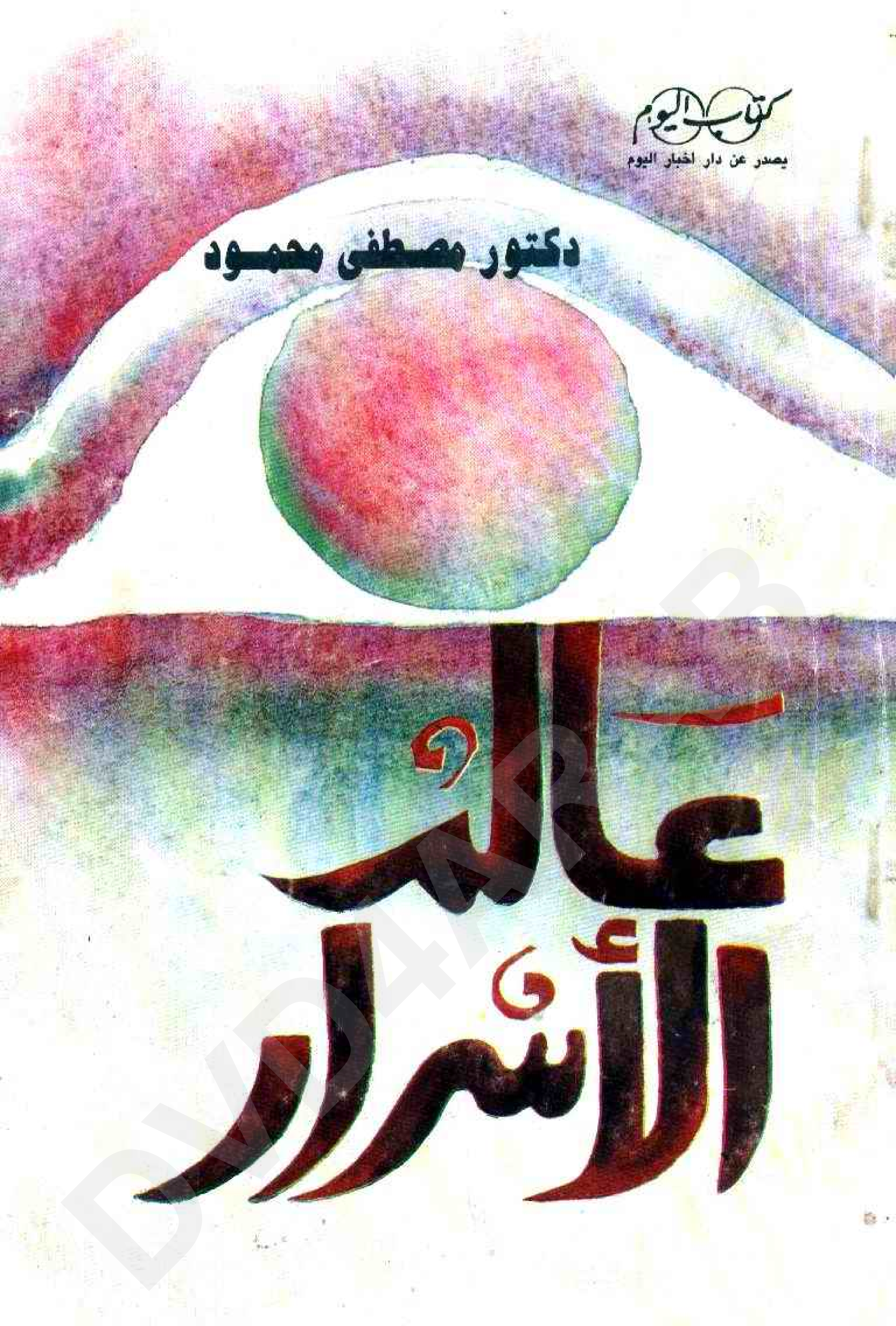

كتاب اليوم
يصدر عن دار اخبار اليوم
دكتور مصطفى محمود
عالم الأسرار

كتاب اليوم
يصدر عن دار أخبار اليوم

عالم الأسرار

دكتور
مصطفى محمود

• العدد ٣٣١ •

... أوصيك يابني بسبعة أشياء إذا حفظتها تسلم
لا تشارك غيوراً ولا تسألن حسوداً ، ولا تجاور جاهلاً ، ولا تناهض من هو أقوى منك ، ولا تؤاخ مرائياً ولا تصاحب بخيلاً ولا تستودع سرك أحداً

قال أحد حكماء الفلسفة : الإخوان ثلاثة ... أخ كالغذاء تحتاج إليه كل وقت ، وأخ كالدواء تحتاج إليه أحياناً ، وأخ كالداء لا تحتاج إليه أبدا

اللغة التي تكلم بها آدم

كانت لي وقفة طويلة منذ زمن أمام أصل اللغات وانا اتأمل اللفظة العربية .. كهف .. فأجدها في الانجليزية (CAVE) وفي الفرنسية (CAVE) وفي الإيطالية (CAVA)وفي اللاتينية (CAVUS) .. فأسأل وأنا أراها كلها واحدا .. أي لغة أخذتها عن الأخرى وأيها كان الأصل .

وكان الجواب يحتاج إلى الغوص في علم اللغويات والبحث في البحار القديمة التي خرجت منها كل الكلمات التي نتداولها .. وكان هذا الأمر يحتاج إلى سنوات وربما إلى عمر آخر .

ودار الزمان دورته ثم وقع في يدى كتاب عنوانه .. اللغة العربية أصل اللغات .. والكتاب بالانجليزية والمؤلفة هي تحية عبد العزيز إسماعيل أستاذة متخصصة في علم اللغويات .. تدرس هذه المادة في الجامعة .. إذن هي ضالتي .. وعرفت انها قضت عشر سنوات تنقب وتبحث في الوثائق والمخطوطات والمراجع والقواميس لتصل إلى هذا الحكم القاطع .. فازداد فضولي وشوقي والتهمت الكتاب في ليلتين .

والكتاب في نظري ثروة أكاديمية وفتح جديد في علم اللغويات يستحق أن يلقى عليه الضوء وأن يقيم وأن يأخذ مكانه بين المراجع العلمية الهامة .

وألفت نظر القارىء أولا أن يمر بعينيه على الجداول الملحقة بالمقال ويلاحظ الألفاظ المشتركة بين اللغة العربية والانجليزية .. وبين العربية واللاتينية .. وبين العربية والهيروغليفية .. وبين العربية والألمانية .. وبين العربية والانجلوساكسونية .. وبين العربية والفرنسية .. وبين العربية والأوروبية القديمة وبين العربية واليونانية .. وبين العربية والإيطالية .. وبين العربية والسنسكريتية .. ليشهد هذا الشارع العربي المشترك الذى تتقاطع فيه كل شوارع اللغات المختلفة .. وهذا الكم الهائل المشترك من الكلمات رغم القارات والمحيطات التى تفصل شعوبها بعضها عن بعض .

وأعود إلى السؤال :

لماذا خرجت المؤلفة بالنتيجة القاطعة .. ان اللغة العربية كانت الأصل والمنبع وان جميع اللغات كانت قنوات وروافد منها :

تقول المؤلفة في كتابها .. ان السبب الأول هو سعة اللغة العربية وغناها وضيق اللغات الأخرى وفقرها النسبي .. فاللغة اللاتينية بها سبعمائة جذر لغوى فقط والسكسونية ألفا جذر بينما العربية بها ستة عشر ألف جذر لغوى .. يضاف إلى هذه السعة سعة أخرى في التفعيل والاشتقاق والتركيب .. ففى الانجليزية مثلا لفظ (TALL) بمعنى طويل (والتشابه بين الكلمتين فى النطق واضح) ولكنا نجد ان اللفظة العربية تخرج منها مشتقات وتراكيب بلا عدد (طال يطول وطائل وطائلة وطويل وطويلة وذو الطول ومستطيل) .. إلخ .. بينما اللفظ الانجليزى (TALL) لا يخرج منه شيء .. ونفس الملاحظة في لفظة أخرى مثل (GOOD)

بالانجليزية وجيد بالعربية وكلاهما متشابه فى النطق . ولكنا نجد كلمة جيد يخرج منها الجود والجودة والإجادة ويجيد ويجود وجواد وجياد .. إلخ .. ولا نجد لفظ (GOOD) يخرج منه شيء .

ثم نجد فى اللغة العربية اللفظة الواحدة تعطى أكثر من معنى بمجرد تلوين الوزن .. فمثلا قاتل وقتيل وفيض وفيضان ورحيم ورحمن ورضى ورضوان وعنف وعنفوان .. اختلافات في المعنى أحيانا تصل إلى العكس كما فى قاتل وقتيل .. وهذا التلوين فى الإيقاع الوزنى غير معروف فى اللغات الأخرى .. وإذا احتاج الأمر لا يجد الانجليزى بدا من استخدام كلمتين مثل (GOOD) و (VERY GOOD)للتعبير عن الجيد والأجود .

وميزة أخرى ينفرد بها الحرف العربي .. هي ان الحرف العربي بذاته له رمزية ودلالة ومعنى .. فحرف الحاء مثلا نراه يرمز للحدة والسخونة .. مثل حمى وحرارة وحر وحب وحريق وحقد وحميم وحنظل وحريف وحرام وحرير وحنان وحكة وحاد وحق .. بينما نجد حرفا آخر مثل الخاء يرمز إلى كل ما هو كريه وسيىء ومنفر ويدخل فى كلمات مثل خوف وخزى وخجل وخيانة وخلاعة وخنوثة وخذلان وخنزير وخنفس وخرقة وخراء وخلط وخبط وخرف وخسة وخسيس وخم وخلع وخواء .. ونرى الطفل إذا لمس النار قال .. أح ونرى الكبير إذا اكتشف انه نسى أمرا هاما يقول .. أخ (فالنسيان أمر سيىء) .

وهذه الرمزية الخاصة بالحرف والتى تجعله بمفرده ذا معنى هى خاصة ينفرد بها الحرف العربي .. ولذا نجد سور القرآن أحيانا تبدأ بحرف واحد .. مثل ص .. أو (ق) .. أو .. ن .. وكأنما ذلك الحرف بذاته يعنى شيئا .

ولأن للحروف فى العربية معناها ومدلولها .. فاننا

عربى	انجليزى
كفن	coffin
كهف	cave
هرع	hurry
بركان	volcano
يقرض	corrode
ليث	lion
قط	cat
مرآة	mirror
جدى	goat
بركة	brook
فسيخ	fish
يزغلل	dazzle
فلتة	fault
هلاوس	hellucinations
جيد	good
عنق	neck

عربى	انجليزى
سدر	cedar
بخار	vapour
قابل	able
بدن	body
جارية	girl
رسغ	wrist
مطر	water
وسط	waist
فاضى	void
قال	call
مسيطر	master
بلف	bluff
نبيل	noble
باطن	bottom
شريف	sherif
قصر	castle

عربى	لاتينى
قانون	cannon
الإله (مناة)	manon
جباية	gaballum
بركان	valcan
نافلة	nafela
نبيل	nobilis
بقرة	bucula
فلتة	fallita
أذن	auzon

عربى	ألمانى
أرض	erd
بركان	volkan
قط	katxe
أرز	reise
نبيل	noble
قصر	kassel
ليث	lowe
يدافع	defence
برج	burg
بركة	broka
(الماني قديم)	
صراط	strasse
سكر	zucker

عربي	يوناني قديم
كفن	coffinos
قانون	kanawn

عربي	انجلو ساكسون
ورد	wyrt
ضار	daru
هو	he
هي	heo
هم	hem

عربي	هيروغليفي
أب	أبو
خاتم	ختم
نهر	نهير
قطاع	كاتاع
يـم	يما
عين ماء	عينو
صحوة	صهوه
حقد	حكت
أتون (النار)	أتون (الشمس)

عربي	لاتيني
يدافع	defendo
أرجو	rego
القنب	cannabis
ذكر	dicere
قاضي	vidus
كهف	cavus
زفير	zeferos
قارض	corus
عرج	arcus
كنس	cinis
طرح	traho
قبض	captus
قدم	pedem
عمتي	amita
كسر	quassare

عربي	انجليزي
غزال	gazel
زراف	giraf
قصر	castle
سكر	sugar
القسط	just
صراط	street
أرز	rice
ليمون	lemon
نبيل	noble

عربي	فرنسي
كهف	cave
صابون	savon
ثعبان	serpon
شجن	chagrin
عنق	nuque
بخار	vapeur
جباية	gabelle
مرآة	mirroire
سكر	sucre
قميص	chemise
مريض	malade
القسط	juste

عربي	إيطالي
قطة	goetta
زراف	giraffa
غزال	gazella
مريض	malato
قميص	kamija
بخار	vaporé
قصر	castello
سكر	zukora
صراط	strada
القسط	justo
الكهف	cava
الأرز	riso
نبيل	noblé
مرمر	marmaro
بركان	volcano

عربي	هيروغليفي
مع الأخيار	مع خيرو
سبعة	سيفكس
انـا	أنـوك
انت	أنتك
ميه	مـو
حسن	هـس
حطب	حتب
جنب	كنب
أمين	أمـون
مكة	بكـة

عربي	سانسكريتي
سـته	سبتـوم

نستطيع أن نؤلف بالعربية جملا قصيرة جدا مثل .. لن أذهب .. ومثل هذه الجملة القصيرة يحتاج الانجليزى إلى جملة طويلة ليترجمها فيقول (I SHALL NOT GO) ليعنى بذلك نفس الشيء .. لأنه لا يجد عنده ما يقابل هذه الرمزية فى الحروف التى تسهل عليه الوصول إلى مراده بأقل كلمات .

وإذا ذهبنا نتتبع تاريخ اللغة العربية ونحوها وصرفها وقواعدها وكلماتها وتراكيبها فسوف نكتشف ان نحوها وصرفها وقواعدها وأساليب التركيب والاشتقاق فيها ثابتة لم تتغير على مدى ما نعلم من ألوف السنين .. وكل ما حدث ان نهرها كان يتسع من حيث المحصول والكلمات والمفردات كلما اتسعت المناسبات .. ولكنها ظلت حافظة لكيانها وهيكلها وقوانينها .. ولم تجر عليها عوامل الفناء والانحلال او التشويه والتحريف .. وهو ما لم يحدث فى اللغات الأخرى التى دخلها التحريف والإضافة والحذف والأدماج والاختصار وتغيرت أجروميتها مرة بعد مرة .

وفى اللغة الألمانية القديمة نجد لغة فصحى خاصة بالشمال غير اللغة الفصحى الخاصة بالجنوب ، ونجد أجرومية مختلفة فى اللغتين .. ونجد التطور يؤدى إلى التداخل والادماج والاختصار والتحريف والتغيير فى القواعد .. ونفس الشيء فى اللاتينية وانواعها وفى اليونانية وفى الانجلوساكسونية .. ولهذا اختار الله اللغة العربية وعاء للقرآن لأنه وعاء محفوظ غير ذى عوج وامتدح قرآنه بأنه (قرآنا عربيا غير ذى عوج) .

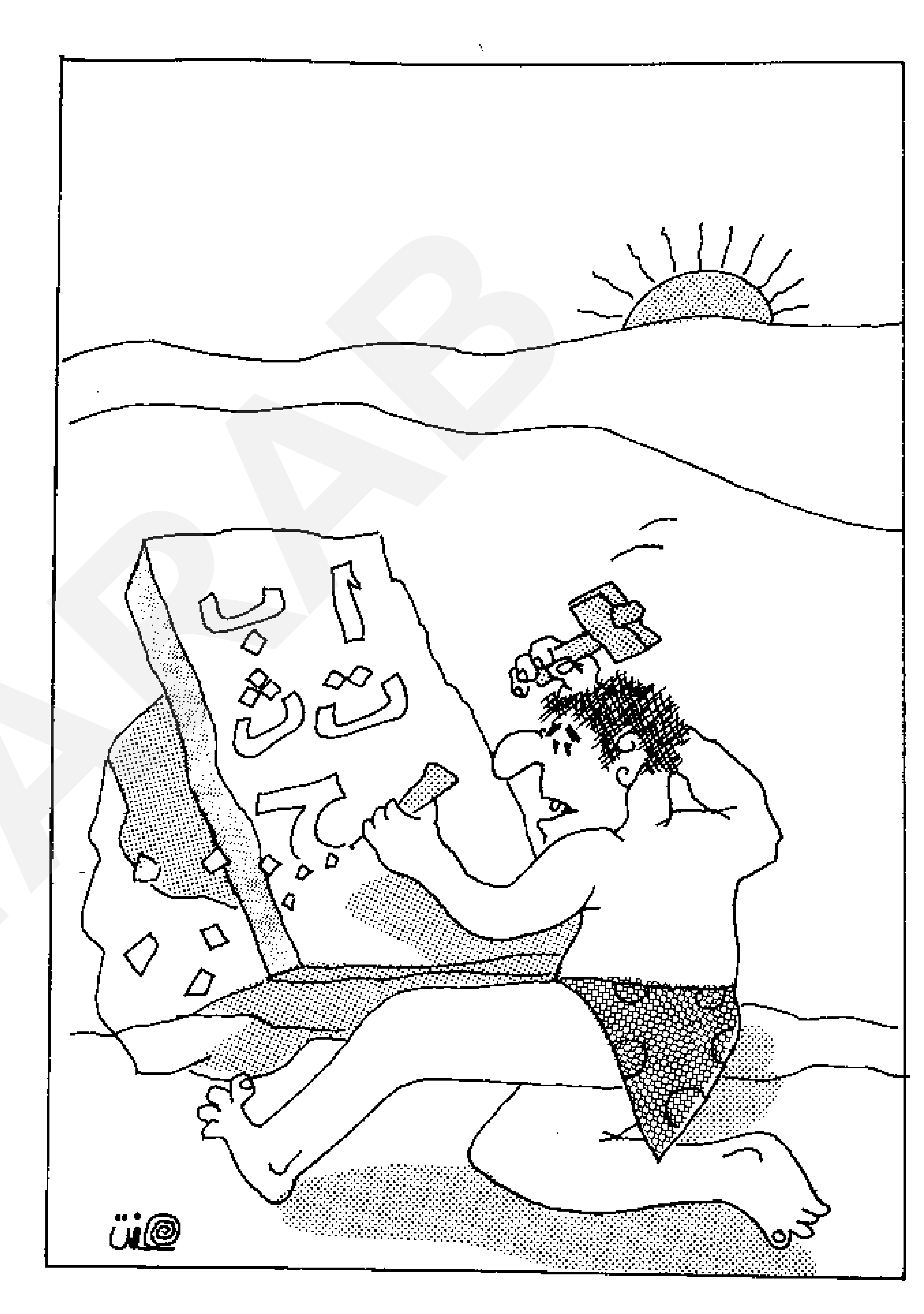
وحدِّث ولا حرج عن غنى اللغة العربية بمترادفاتها حيث تجد للأسد العديد من الأسماء فهو الليث والغضنفر والسبع والرئبال والهزبر والضرغام والضيغم والورد والقسورة .. إلخ .. ونجد كل اسم يعكس صفة مختلفة فى الأسد ونجد لكل اسم ظلالا ورنينا وإيقاعا .

ومن الطبيعي أن يأخذ الفقير من الغنى وليس العكس ، ومن الطبيعي أن تأخذ اللاتينية والساكسونية والأوروبية واليونانية من العربية وأن تكون العربية هى الأصل الأول لجميع اللغات وأن تكون هى التى أُوحيَت بقواعدها وتفعيلاتها وكلماتها إلى آدم .. كما قال القرآن عن الله .. وعلم آدم الأسماء كلها .

ولكن المؤلفة لا تكتفي بالسند الديني وإنما تقوم بتشريح الكلمات اللاتينية والأوروبية واليونانية والهيروغليفية وتكشف عن تراكيبها وتردها إلى أصولها العربية .. شارحة ما جد على تلك الكلمات من حذف وادماج واختصار .. تفعل هذا فى صبر ودأب وأناه ومثابرة عجيبة .

نحن أمام دراسة أكاديمية .. وفتح جديد في علم اللغويات تستحق صاحبته الدكتوراه الشرفية من الجامعة .. والتحية من الأزهر والاهتمام من القارىء الأجنبى والعربى والالتفات من النقاد .. والمناقشة الجادة من الأكاديميين .. حتى لا يقال عن بلادنا انها لا تقوم ولا تقعد إلا لمباريات الكرة .

□ □ □



جميع الأنبياء مروا من هنا

التوحيد على أرض مصر قديم .. جدا .
ليس كما يظن البعض انه بدأ بإخناتون وإنما قبل إخناتون وقبل امنحوتب وقبل مينا .
الرسالات بدأت على أرض مصر منذ اثنتى عشر الف وخمسمائة سنة .
هكذا يقول المؤرخ مانيتون .
بدأت باوزوريس (وهو النبى أدريس) عليه السلام .. الذى جاء إلى مصر بالتوحيد .. وكان أول من علم المصريين الكتابة بالقلم ولبس المخيط ومبادىء الفلك والتنجيم وضبط الفصول والزراعة والتقويم الشمسى .. وعلمهم أن هناك خالقا واحدا وأن من يموت منهم سوف يبعث ثم يقف بين يديه ليحاسب ثم يصير إلى خلود فى نعيم أو فى عذاب حسب أعماله .. وكعادة الشعوب القديمة تحول أوزوريس بعد موته إلى أسطورة واصبح آلها ونسجت حول سيرته الملاحم والأغانى والأناشيد .
والمهندس سيد كريم فى كتابه المثير « عقيدة التوحيد » يرى أكثر من هذا .

انه يعتقد ان الآلهة أتوم .. وأوزوريس .. ونو .. هم آدم .. وادريس .. ونوح .. فما قيل عن ادريس هو نفس ما قيل عن أوزوريس .. فادريس في التاريخ ـ كما قلت ـ هو الذى علم الناس الكتابة بالقلم ولبس المخيط ومبادىء الفلك والتنجيم وضبط الفصول والزراعة والتقويم الشمسي .. كما ان الاله نو .. قد وصف بانه إله الماء والفيضان ومنقذ البشرية .. وأتوم أو آدم هو أول من نزل الأرض في مبدأ الخلق .

وهو يقول ان أوزير قد يكون هو « عزير » النبي الذى جاء ذكره في القرآن وفي التوراة وهو الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه فكان المعجزة التي تحولت إلى أسطورة .. ثم كالعادة تحول إلى إله .

ولسيد كريم نظرية خاصة في التعددية الواضحة في آلهة الفراعنة الذين بلغ عددهم في إحصائية العالم بروجش الفين وثمانمائة اله .. ان هذا العدد في الأصل ليس آلهة وإنما أسماء وصفات وأفعال للإله الواحد .. ويدلل على ذلك بأن كلمة إله في الهيروغليفية « نتر » معناها اليد القوية فهي صفة وليست شخصا .

والدليل الآخر والأهم هو ما جاء في وصف هذا الإله الخالق في متون كتاب الموتى وفي بردية تحوت وفي بردية ختيا وفي نشيد إخناتون .

ونكتفي بهذه الفقرات التي تعبر بأفصح من أى دليل

في البدء كانت الكلمة والكلمة مصدرها الإله . إله واحد هو كل شيء كان وكل شيء كائن وكل شيء سيكون .. محال على من يفنى أن يكشف النقاب عن سر مالا يفنى .. عرشه في السماء وظله على الأرض .

فوق المحسوسات ومحيط بكل شيء .

موجود بغير ولادة .. أبدى بلا موت .

ويقول الإله في كتاب الموتى

خلقت الكائنات وأودعت في كل منها صفة من صفاتي .

خلقت كل شيء وحدى ولم يكن بجوارى أحد .

بكلمتي خلقت ما أريد .

خلقت الأرض وما تحتها والسموات وما فوقها والمحيطات وما في أعماقها والجبال وما في بطونها .

وبردية أخرى تصف هذا الإله الواحد .

هو في مخلوقاته وهو يعلو عليها جميعا .

هو يرى ببصره كل شيء ولا تراه الأبصار ويسمع كل همسة ولا تدركه الأسماع .

وفي كتاب الموتى نقرأ هذه الصلاة :

أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء .

وفي متون البرديات القديمة تبدأ القصة هكذا .

في البدء كان الظلام والعماء والسكون ولا شيء سوى المحيط .

ومن باطن هذا المحيط المظلم خلق الله نفسه بنفسه وخرج ليفيض النور والحركة على الوجود وكان أول ما خلق .. هم ملائكة التكوين الثمانية .. خلقهم من أنفاسه ليكونوا حملة عرشه فوق الماء .. والعرش كان هو التاسوع لهؤلاء الثمانية المقدسين (٩ رقم مقدس عند الفراعنة وكذلك ٧ لان الله خلق كل شيء في ستة أيام ثم استوى على قمة الوجود في اليوم السابع) .

ويصف كتاب الموتى نعيم الجنة بانه تجرى بها أربعة أنهار .. نهر من الماء الزلال ينبع من عين الخلود ونهر من اللبن المقدس يتساقط من ثدى نوت ، ونهر من خمر ذهبي يسيل من أشعة الشمس ، ونهر من عسل مصفى ينحدر من حدائق الجنة .

وسماء الجنة صافية تعكس ألوان الطيف وأرضها خصبة مزدهرة وأشجارها دانية القطوف والثمار وحصاها من الأحجار الكريمة .

مثل هذا التراث الدينى القديم منذ اثنتى عشر ألف سنة لا يمكن أن يأتى من فراغ .

ومثل هذه النبرة الصافية للتوحيد الذى لا يشوبه شرك لا يمكن أن تخرج إلا من مشكاة أنبياء نزلوا بمصر وساحوا فيها ينشدون هذه الأنغام الملائكية .. ورسلا لا نعرفهم ولم يأت لهم ذكر فى الكتب السماوية .

ألم يقل الله لنبيه فى القرآن عن الرسل .

« منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » .

فأى غرابة فى هذا .

أو ليس التحريف والتبديل والتغيير هو آفة الكهنة فى كل زمان .. وهم الذين حولوا هذا الركب من الرسل إلى آلهة .. ونسجوا حولها الأساطير وحولوا الأسماء والصفات الألهية إلى أرباب بلا عدد .. ليكون لكل رب قرابين ومعابد وضرائب تجبى من السذج والبسطاء .. ثم كالعادة يدخل كل هذا إلى جيب الكهنة .

ثم جاء الفراعنة الذين سخروا الدين لأغراضهم السياسية واستخدموه سلاحا للسلطة .. كما نرى حال الفرق التى تلعب لعبة السياسة والدين حولنا اليوم بهدف ركوب السلطة .

□ □ □

ومن هذا الصراع جاء هذا التاريخ المختلط الذى نقرؤه زاخرا بهذا الكم الهائل من الشرك والتعدد والوثنية ، وهذه المعارك التى خاضها بعض الملوك الشرفاء بهدف انتشال العقيدة والعودة بها وبالبلاد إلى التوحيد .. مثل مينا وامنحوتب واخناتون .. وبعد كل انتفاضة يعود الكهنة فينتصرون بمؤامراتهم .. ولا يجد الموحدون مخرجا إلا الهرب

والهجرة والفرار بأنفسهم وهذا ما تحكيه البرديات عن .. السابى .. الذين فروا إلى الجزيرة العربية بعد قتل اخناتون هربا من الاضطهاد .. والسابى هم الذين جاء ذكرهم فى القرآن باسم الصابئة .. ﴿ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى ﴾ .. فجعلهم الله مع الناجين يوم القيامة

وكذلك قبيلة بنو عبد مناف .. فهؤلاء مهاجرون من منف .

ومثلهم قبائل جرهم الذين لجأت إليهم أم إسماعيل .

لقد كانت مصر دائما أرض توحيد .. وكانت مهد كل الديانات .

ولذلك أطلق عليها الفراعنة اسم جب تاه (EGYPT) بالهيروغليفية أى أرض الله .

وهى عندنا كنانة الله فى أرضه .. وهى المحروسة وأهلها فى رباط إلى أن تقوم الساعة .

وجنودها كما قال النبى عليه الصلاة والسلام هم خير أجناد الأرض .

وفى عين شمس ومنذ اثنتى عشر ألف سنة قامت أول جامعة وأول أكاديمية علمية هى جامعة أون .

وفى هذه الجامعة درس أفلاطون وسولون وارسطو .

وفى بردياتها المفقودة .. كانت أسرار علوم الأطلانطيس .. وأسرار بناء الهرم الأكبر .. وكيف استطاع علماء ذلك الزمان رفع الحجر الجرانيتى بوزن ٧٥ طنا ليكون سقف غرفة الملكة فى الهرم .. بدون أوناش وبدون تكنولوچيا .. فقط بالتلاوات وتركيز الهمة واستخدام القوة المغنطيسية الذاتية لإلغاء الجاذبية الأرضية .. وفيها البرديات التى اندثرت عن أسرار الحروف والأرقام وفيها فنون الطلاسم والسحر .. والكثير مما أخذه اليهود فى كتابهم .. الكباله .

□ □ □

ومن طرائف ما جاء في إحدى البرديات عن الرقم ٩ انه إذا ضرب فى الأرقام ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ مجتمعة (وهى ترمز للملائكة الثمانية وتاسوع العرش الذى يحملونه) لجاءت النتيجة ١٠ ١١ ١١ ١١ ١١ وهى صورة رقمية للملائكة الثمانية والإله الواحد الذى يحملون عرشه .

وفي هذه البرديات ان الإنسان الذى خلقه الله على صورته له هو الآخر تاسوع . فالروح يكون لها استواء عرشى فى الشهر السابع من حياة الجنين تحملها عناصر الحياة الثمانية فى الإنسان وهى القلب والقرين والعقل والظل والطاقة والجسم الأثيرى والجسم المادى والاسم .

ومن أجمل ما قيل عن الآخرة فى كتاب الموتى .

ان الآخرة هى الميزان الذى تعتدل به الدنيا فلا يمكن أن يكون الموت نهاية كل شىء ، فلابد من بعث وحساب ليكون لكل شىء معنى وللدنيا غاية وللميزان اعتدال .

ولا نهاية لما تحويه هذه البرديات القديمة من علوم وأسرار .

ولا يلزم أن يكون كل ما جاء فيها صوابا .. وإنما هو عرضة لكل ما أصاب هذه الأزمنة القديمة من تحريف وتشويه وحذف وإضافة .

لكن جوهر القضية سليم .. ان مصر كانت دائما أرض التوحيد .. وان التوحيد بها قديم قبل إخناتون .. وان جميع الأنبياء مروا من هنا .. وان أول ما جاءت لا إله إلا الله .. جاءت من هذه الأرض .. وان التعددية الوثنية كانت صناعة الكهنة وحرفة الساسة .. وانها لم تكن قط أصلا من أصول العقيدة المصرية .

وعشرات المسلات التى تشير كالاصبع إلى السماء فى كافة أرجاء مصر وبطول وادى النيل تشهد على ذلك الواحد فى السماء الذى تعلقت به القلوب والابصار .. انها مآذن التوحيد

ومصاعد الدعاء والتسبيح فى ذلك العصر البعيد .

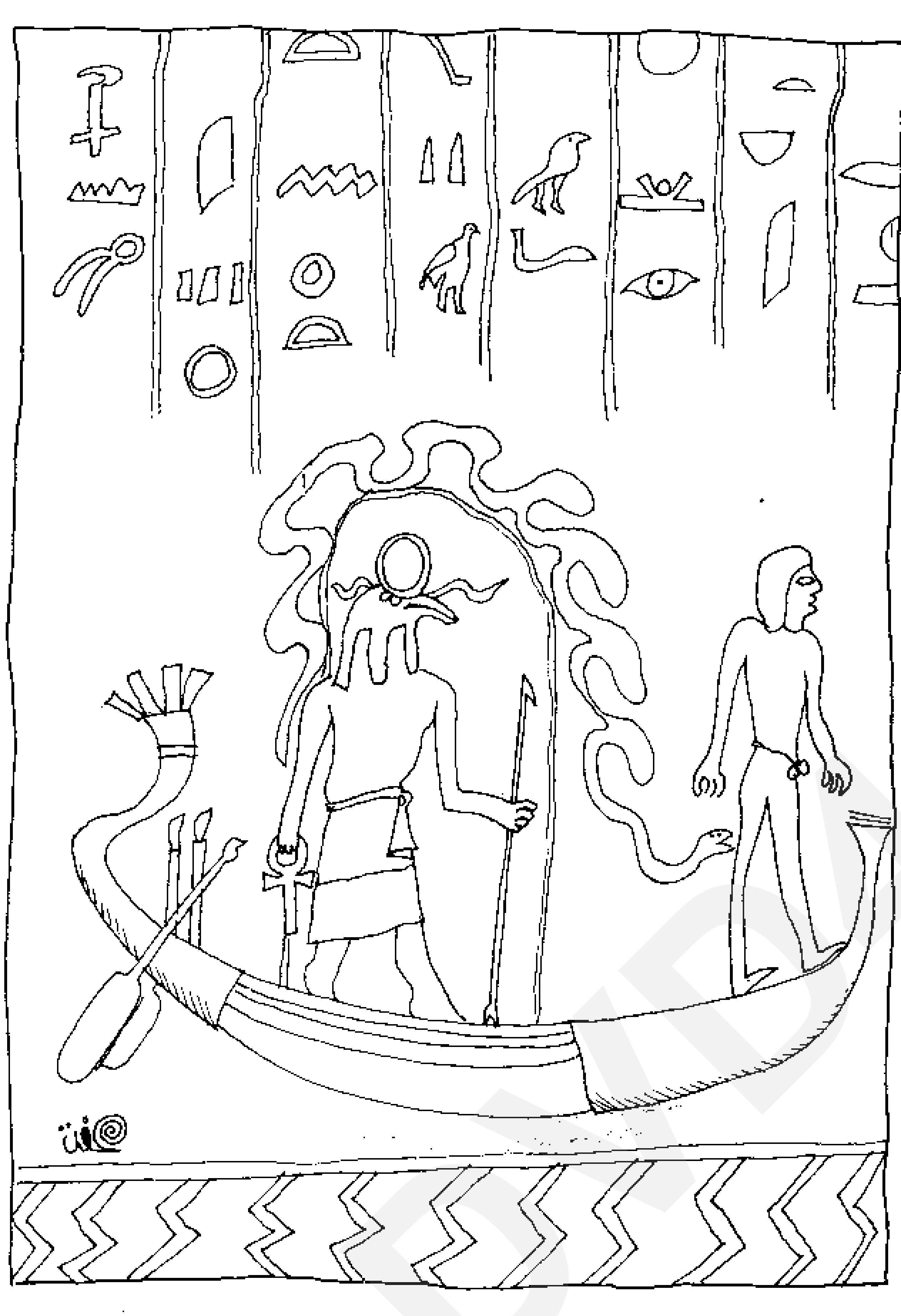
□ □ □

وتراث التاسوع والثالوث والابن الإله الذى يقتل ويبعث (أوزوريس وإيزيس وحورس) الذى دخل فى اللاهوت الحالى وامتزج بالفكر الدينى يخرج من كهنوت ذلك العصر القديم .. فالحاضر أخذ معه الماضى بكل ما فيه من حقائق وأباطيل كما يأخذ الابن ملامحه من أجداده .

ونجد فى ذلك التاريخ المصرى القديم كل شىء .. نجد مرحلة الاقطاع ونجد الثورة الشيوعية الأولى التى أتت فى نهاية الأسرة السادسة عام ٢٢٨٠ قبل الميلاد وطاردت رجال الدين والمثقفين فى منف وأدت إلى الانهيار الحضارى الأول وإلى هجرة الألوف من العلماء والمفكرين إلى الجزيرة العربية وبابل وفلسطين هاربين من الاضطهاد .. والذين استوطنوا منهم الجزيرة العربية عرفوا بقبيلة بنى مناف نسبة إلى منف وقد أطلقوا على مكة اسم بكة .. وبكة بالهيروغليفية معناها حصن الأمان .. وقد وردت لفظة بكة بنصها فى القرآن .

□ □ □

ولم يكن غريبا أن يعيد التاريخ نفسه بدخول الفكر الشيوعى مرة أخرى إلى مصر على يد عبد الناصر ليؤدى إلى القرارات الاشتراكية سنة ١٩٦٠ وإلى الانهيار الاقتصادى وإلى هزيمة ١٩٦٧ وإلى هجرة المثقفين وإلى عشرين سنة من النظام القمعى الدكتاتورى ، ومن قبل ذلك دخلت شيوعية القرامطة بغداد ، وهدمت الكعبة وقتلت الحجيج وسرقت الحجر الأسود .. وفعلوا ما فعله الخمير الحمر فى كمبوديا اليوم ، ومازال التاريخ يعيد نفسه فى الصين وفى بولندا وفى تشيكوسلوفاكيا وهتاف الطلبة فى بكين فى ميدان تيانان من وهم يغنون أغانى الحرية والدبابات الشيوعية تحصدهم ..



اسمعه الآن .. وكأنى أقرأ فى بردية مصرية قديمة .. عن مواكب الظلم والظلام التى لا تتوقف والتى تعيد نفسها مرة بعد مرة عبر التاريخ .. وفى كل مرة يتخذ الظلم لنفسه ايديولوچية وكهنوتا وكهنة ولكنه هو هو دائما وان اختلفت الأسماء .

ولهذا كان اخناتون على حق وكان عبقريا حينما قال فى مقدمته عن رسالة العقيدة :

هذه رسالة الإله كما أرادها الإله . فالإله يريد أن يخاطب الناس بنفسه بدون وساطة من أحد وبدون كهنوت .

كما يقول نبينا عليه الصلاة والسلام : استفت قلبك . الحلال بين والحرام بين .

وكما نقول نحن .. صوت الفطرة .. وصوت الضمير .

فما أكثر ما فعل الكهنوت بالناس من مفاسد ، وما أكثر ما اضلتهم الايديولوچيات ، ولو أنهم أنصتوا إلى صوت الفطرة فى داخلهم ، ولو أنهم استمعوا إلى صوت الضمير .. ذلك السفير الإلهى الذى لا يخطىء .. لما ضلوا ولما أضلوا .

* * * *

ويستمر النشيد الإخناتونى البديع فى تلك النبرة التوحيدية الصافية .

ونعود فنقرأ هذا النشيد فى مزامير داود .. وأحيانا نصادف نفس الألفاظ ونفس العبارات .. ونفس المعانى .

ولا غرابة .

فقد أخذ الكل من نبع واحد .

من الله الواحد الذى خلق الكون وحده ولم يشرك معه أحدا .

الله الذى يبصر كل شىء ولا تراه الأبصار ، ويسمع كل شىء ولا تدركه الأسماع ، لأنه الواحد الذى ليس كمثله شىء .

□ □ □

أيـن كانت نفوسـنا قبـل أن تـولد

أتلفت حولي دائما في دهشة متأملا اختلاف الطبائع في صنوف الحيوان .. مكر الثعلب ووفاء الكلب وشجاعة الأسد واندفاع الثور وصبر النملة وتحمل الحمار وغضبة الجمل وانتقام الفيل ووداعة الحمامة ورقة الغزالة وتلون الحرباء وغدر النمر ولؤم الضبع ودناءة الخنزير .. فأرى كل هذه الطباع التي تفرقت بين أجناس الحيوان .. قد اجتمعت في الإنسان .. وأحيانا أراها في الإنسان الواحد تختلف عليه مع اختلاف الأحوال والمناسبات .

□ □ □

وفي داخل الإنسان أرى السموات برعودها وصواعقها وبرقها ورياحها .. وفي باطنه أيضا أحس بثورة البركان وتصدع الزلزال وهدوء البحر .. ومثل البحر أراه يخفي في باطنه الثعابين وأسماك القرش والحيتان القاتلة .. وأحيانا المراجين والآلي واليواقيت .

وفي جسمه أرى تراب الأرض وتثاقلها ورخاوتها وصلابتها ورمالها الناعمة .. وأرى جسمه أيضا مثل الأرض يهوى التلقيح والاخصاب وينبت الورود الناعمة وأحيانا يلد أشجار السنديان الضخمة .

ولهذا يقول العارفون بالله .. ان كل ما نرى فى صفحات الكون متفرقا بين نبات وحيوان وجماد نجده مجتمعا فى كتاب واحد اسمه الإنسان .. ولهذا أسجد الله الملائكة لهذا الإنسان وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض وأعطاه الخلافة والحاكمية وحفه بأسمائه الحسنى ترعاه بحقائقها وتحفظه بأسرارها .

وقال العارفون ان الإنسان هو المراد من خلق الكون كله ، وان صفوة الإنسان هم الأنبياء وصفوة الأنبياء هو خاتمهم محمد عليه الصلاة السلام .. فهو الإنسان الكامل المراد من جنس الإنسان على الإطلاق .. وهو العماد الذى ضربت عليه قبة الوجود .. وهو النبى الخاتم الذى اجتمعت له مفاتيح المعارف وكنوز الرحمة ومقام الشفاعة وأنوار الهداية وتميز على الكل بأنه على خلق عظيم فقال له ربه .. ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ .

□ □ □

وقال جل من قائل .. ﴿ ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ .. فتلك صلوات من العظيم على العظيم وأمر من الله بأن يصلى عليه الملأ الأعلى كله .. فتلك خصوصية انفرد بها سيد البشر .

وكما انفرد محمد عليه الصلاة والسلام بأنه سيد البشر ، انفردت مريم بين النساء بأنها أفضل نساء العالمين .. كما انفرد كل نبى بمقام .. فهذا موسى الكليم وهذا إبراهيم الخليل وهذا عيسى كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه .

□ □ □

ويسأل السائل ولماذا خلق الله هذا نبيا وذاك ملاكا وذاك شيطانا ولماذا اختلف الناس إلى نبلاء وسفلة ، ولماذا جاء هذا المخلوق نملة وجاء الآخر جرادة وجاء الثالث خنزيرا وجاء الرابع صرصورا .. ولماذا اختص الله إنسانا بالولاية

واختص آخر بالغواية .

ويقول الله فى قرآنه :

﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾ .

(٨٥ ـ الحجر)

أى ما أعطينا هذا الخنزير خلقته الخنزيرية إلا لأن نفسه خنزيرية لا تقبل إلا هذه الصورة فجاء اختلاف الرتب بين الخلائق بناء على استحقاقات أزلية .

وما جعلنا إبليس شيطانا إلا لأنه لم يصلح إلا للغواية .. وكان قبل ذلك بين الملائكة وكانت له رتبتهم ولكنه استكبر .

ويقول ربنا :

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا ﴾ .

(٧٢ ـ الأحزاب)

وكأنما كان كل شيء بعرض .. وكل شيء باختيار .

وكأنما كانت كل الحقائق معروضة .. واختار كل شيء حقيقته .. وقبلت بعض النفوس الحقائق الملكوتية ولم تقبل النفوس الأخرى إلا الصفات السفلية التى تشاكلها .

□ □ □

ويقول ابن عربى : ان النفوس كلها كانت أعيانا فى العدم لها ثبوت وصف ولها تشخص أزلى قديم لا يعلم به إلا الله .. هو وحده الذى أحاط بصفاتها فى حال عدمها .. وعلم مقام كل نفس وما تستحقه .. وما جاءت الدنيا بعد ذلك إلا تحصيل حاصل لهذا العلم الإلهى .

كان الله ولا شيء معه .. وهو الآن على ما عليه كان .

إنما هي أشياء يبديها ولا يبتديها .. هي أشياء أخرجها من الخفاء والعدم إلى الظهور والوجود .. وأعطى كل شيء اللبسة الوجودية التي يستحقها .. فخلق كل شيء بالحق .

وأدار الله عجلة الزمن لتكون قصة الابتلاء والامتحان ، وليرى كل واحد من نفسه الأشياء التي كان ينكرها ويعلم المجرم انه مجرم والأمين انه أمين .. وكانت الدنيا هي المقدمة وسجل الأعمال .. لتكون منازل الآخرة بعد ذلك منازل عدل لا مراء فيه ، ويرى كل واحد نفسه على حقيقته .

﴿ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ .

(١٤ - الإسراء)

ولولا صحيفة الامتحان والابتلاء لكان صدام حسين إلى الآن زعيما عظيما وركنا مهيبا ومصلحا كبيرا .. ولكن الله لا يترك كل نفس لما تدعيه وإنما يدخلها في نار الامتحان حتى يعرف صدقها من كذبها ثم يعلن كذبها على الملأ فيدون في صحف الدنيا كما يسطر في صحف الآخرة .

□ □ □

وقد نستطيع أن نمثل على بعضنا أدوارا لبعض الوقت ، وقد يلبس كل واحد غير لبسه ويظهر في غير ثوبه ويرتفع إلى أعلى من منزلته .. ولكن ما يلبث أن تفتضح الحقيقة لأن الزمن دوار والنفس يزج بها في مأزق بعد مازق حتى تفتضح رغم أنفها .. فلا مفر في النهاية من أن تكون نفسك ، وان تظهر خبيئتك التي جاهدت طول عمرك في إخفائها .. ولا يستطيع أحد أن يمكر على الله الذى بيده ملكوت كل شيء والذى يعلم السر وأخفى .

□ □ □

أما حكاية نفوسنا التى كانت أعيانا في العدم (بوصفها وتشخصها منذ الأزل) .. فهي السر الأعظم الذى لا مدخل لأحد عليه .. يقول ربنا :

﴿ أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ﴾ .

(٦٧ - مريم)

فذلك هو العدم الأول (لم يك شيئا) .. ثم يقول في آية أخرى :

﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ .

(٤٠ - النحل)

□ □ □

وكلمة نقول له (رغم انه في العدم) يدل على انه غير معدوم .. وتلك هي العين الثابتة التى لها ثبوت وصف وتشخص في العدم كما تصورها ابن عربي في شطحاته .. وقد تصورها تسمع عن الله بسمع (ليس بسمع وجود) وتعقل عن الله بعقل (ليس بعقل وجود) وتعلم عن الله بعلم (ليس بعلم وجود) .. وهذا كلام مطلسم تدور له الرؤوس .. ومراد الشيخ أن يقول : ان هذه النفوس في عدمها سمعت واستجابت لربها بمستوى آخر من الكينونة والوجود لا سبيل لنا إلى فهمه .

تماما كما حدث لها في وجودها البرزخي في عالم الذر في ظهور الآباء حينما سمعت نداء ربها من غيبه .. ﴿ ألست بربكم ﴾ .. وذلك كما جاء في الآية :

﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا .. أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ .

(١٧٢ ـ ١٧٣ ـ الأعراف)

فتلك حجة يقيمها الله على كل الأنفس إذ أسمعها وأشهدها وهى فى الذر فى ظهور الآباء لم تنزل بعد فى الأرحام ولم تولد .

﴿ ألست بربكم ﴾ .

فأجاب الجميع .. بلى شهدنا .

فيعود ربنا فيذكرها .

أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (عن ربوبيتى) أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون .

□ □ □

وفى الواقع ان الله سبحانه قلب الوضع فجاء بهم قبل آبائهم .. جاء بالابن قبل أن تلده أمه وأبوه .. وبذلك أصبحت حجته داحضة . وقوله ﴿ إنما أشراك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ﴾ .. حجة غير مقبولة .. لأن الله أتى به قبل هذا وقبل أن تلده أمه المشركة وأسمعه .. وأشهده على ربوبيته .

فذلك حديث غيبى تم على مستوى آخر من مستويات الوجود لا مدخل لنا إلى فهمه ولكنه حدث ولابد . مادام الله قد ذكره .

وهذه المستويات الغيبية فى العدم وفى الذر أسرار عالية .

وقد قرأت لمشايخ أفاضل ولكتاب إسلاميين من قبل هجوما على ابن عربى وعلى فكره وشطحه .. وفى يقينى ان الرجل عظيم ولا شك .. وهو قمة فى فكره وصوفيته .. ولكن الذين هاجموه لهم عذرهم فهو بحر متلاطم يغرق فيه الملاح وتغوص فيه العقول فتخرج بالدر أو تهلك ولا يكون لها نجاة .

وكتب الرجل هى للخاصة وخاصة الخاصة من أهل التفكر .

وهى للتأمل الهادىء وليست للقراءة المتعجلة .

وهى زاد للخائفين والمحبين والعاشقين والمشغولين بربهم وللذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وللذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ولأصحاب الرؤى وأولو الألباب .

وقراء ابن عربى أصحاب مزاج خاص .

والألوف الذين يدخلون الإسلام من الأوروبيين بابهم الوحيد إلى الإسلام هو ابن عربى .. لانه يلتقى مع مزاجهم الفلسفى وروحهم الصوفية .

ونظرية ابن عربى عن العدم والأعيان الثابتة فى العدم هى من أعمق ما كتب .

وإذا كنت قد سمحت لنفسى بالدخول خلسة إلى هذه العوالم الملفعة بالأسرار فذلك لأن أحداث حرب الخليج وسيرتها أصبحت شيئا ثقيلا على أعصاب الناس .. وأسوأ ما فى تلك الحرب الخليجية انها كانت حربا غبية .. مما يدعونا ـ ورمضان يهل ببشائره وأنواره ـ أن نخرج بالناس من هذا الوحل ونستشرق شيئا مختلفا .. شيئا يخرجنا من هذه الحجب الكثيفة من القسوة والغلظة والفظاظة .

وليس أجمل من عوالم الأسرار .. ومن أين جئنا .. وإلى أين نسير .. وكيف اختلفنا إلى سوقة وعظماء وإلى بررة وأنبياء .. وكيف امتلأ هذا السجل الذى اسمه الدنيا بعجائب المخلوقات وطرائف السير .

وليس أحلى من جلسة مع قمة من قمم الفكر .. والاصغاء إلى هذا الهمس العميق من عقل متأمل وروح محلقة .

والغريب ان ابن عربى يلتقى فى نظريته عن النفس بفليسوف المانى كبير جاء بعده بقرون هو ليبنتز .. تصور هو الآخر ان النفوس ذرات روحية كما أن العناصر ذرات مادية .. وان هذه الذرات الروحية تتفاضل كما تتفاضل الذرات المادية فيما بينها . ولعله قرأ المخطوط القديم لابن عربى .. فليس هذا الكلام ببعيد عما تصوره ابن عربى بأن النفوس هى أعيان ثابتة فى العدم لها ثبوت وصف ولها تشخص أزلى ولها تفاضل فيما بينها .. وهذا التصور لابن عربى لم يسلم من هجوم .. فقال بعض المفكرين المسلمين : ان القول بأن نفوسنا قديمة وأزلية هو شرك صريح لانه لا أزلية ولا قدم إلا لله . وكان رد المدافعين عن ابن عربى : ان القائلين بالشرك أساءوا الفهم فلا اشتراك بين قدم النفوس وقدم خالقها .. لان قدم الذات الإلهية قدم كمال وغنى ، أما قدم هذه النفوس فهو قدم افتقار وحاجة وعجز وهى لا حول لها ولا قوة ولا فعل بدون ربها . بل انها لا تستطيع أن تبرز من العدم إلى الوجود إلا بمعونة ربها وفضله .

□ □ □

والواقع انه لا شبهة شرك فى الموضوع .. لان قدم الذات الإلهية قدم وجود .. وقدم النفوس هو قدم عدم .. فلا وجه لمشاركة . وأين عدم من وجود ؟ .

ويظل الموضوع لغزا مطلسما .. فكيف يكون للعدم ذرات إلا ان يكون غير معدوم . أو يكون له مفهوم آخر غير المفهوم التقليدى المسطح والخاوى .

ويأتى العلم الحديث فيسعفنا .. فقد كنا نظن ان تفريغ الهواء من داخل ناقوس يؤدى إلى فضاء خاو .. ولكن اتضح أن هذا المفهوم خاطىء .. واننا مهما فرغنا الناقوس من

الهواء .. فسوف نكتشف ان الخواء الباقى ملاء .

□ □ □

وهذا ينطبق على كل خلاء .. فكل خلاء ملاء .. إذ تتخلق فى داخل هذا الخواء على الدوام جسيمات مكهربة متناهية فى الصغر عمرها قصير جدا أقصر من جزء من بليون بليون جزء من اللحظة .. تفنى بعده وتتحول إلى جسيمات جديدة .. وهكذا دواليك .. يظل النشاط والتخلق مستمرا فى هذا الفضاء الخاوى .

ومعنى ذلك ان مفهومنا التقليدى للخواء والفضاء هو مفهوم خاطىء . والمفهوم الجديد انه بحر من الخفاء والظلمة محتدم بالنشاط يجرى فيه الخلق والبعث لكائنات متناهية الصغر تولد فيه وتموت بشكل متواصل .. وكل هذا يحدث فيما كنا نظن انه خواء مطلق لا شىء فيه .

اللاشىء أصبح فى ضوء العلم الحديث شيئا بل أشياء .

وحتى لا يتوه القارىء العادى فى تفاصيل .. نعود إلى السؤال الأول الذى كان سببا فى كل هذه التأملات .. وهو ما النفس .. ومن أين جاءت .. وكيف اختلفت النفوس وتفاضلت إلى كل هذه المراتب من المخلوقات التى بلا عدد .. وكيف جاءت من عدم .. وما العدم ؟

□ □ □

والنكتة فى الموضوع كله .. انها نفسك التى بين جنبيك .. ولا يوجد شىء أقرب إليك من نفسك .. ومع ذلك أنت أجهل الناس بها .. لا تعرف من أنت .. ولا من أين ولا إلى أين تمضى ؟ .. وهؤلاء أكابر العارفين والفلاسفة أكثر منك حيرة وتخبطا .

فإذا كان هذا مقدار علمك بنفسك وهى أقرب الأشياء إليك . فما بال علمك بغيرك .. ثم علمك بباقى أسرار الدنيا

□ □ □

أليس ذلك مدعاة للتواضع .. وغض البصر .. وخفض الطرف .. وطلب العلم من الله في انكسار .. والحياء من غناك إذا كنت غنيا ، ومن علمك إذا كنت عالما ، ومن جاهك إذا كنت وجيها ، ومن سلطانك إذا كنت صاحب سلطان ، فماذا بعد الجهل بنفسك من جهل .

وعسى أن يقربك شعورك بعجزك من الرفق بكل عاجز .

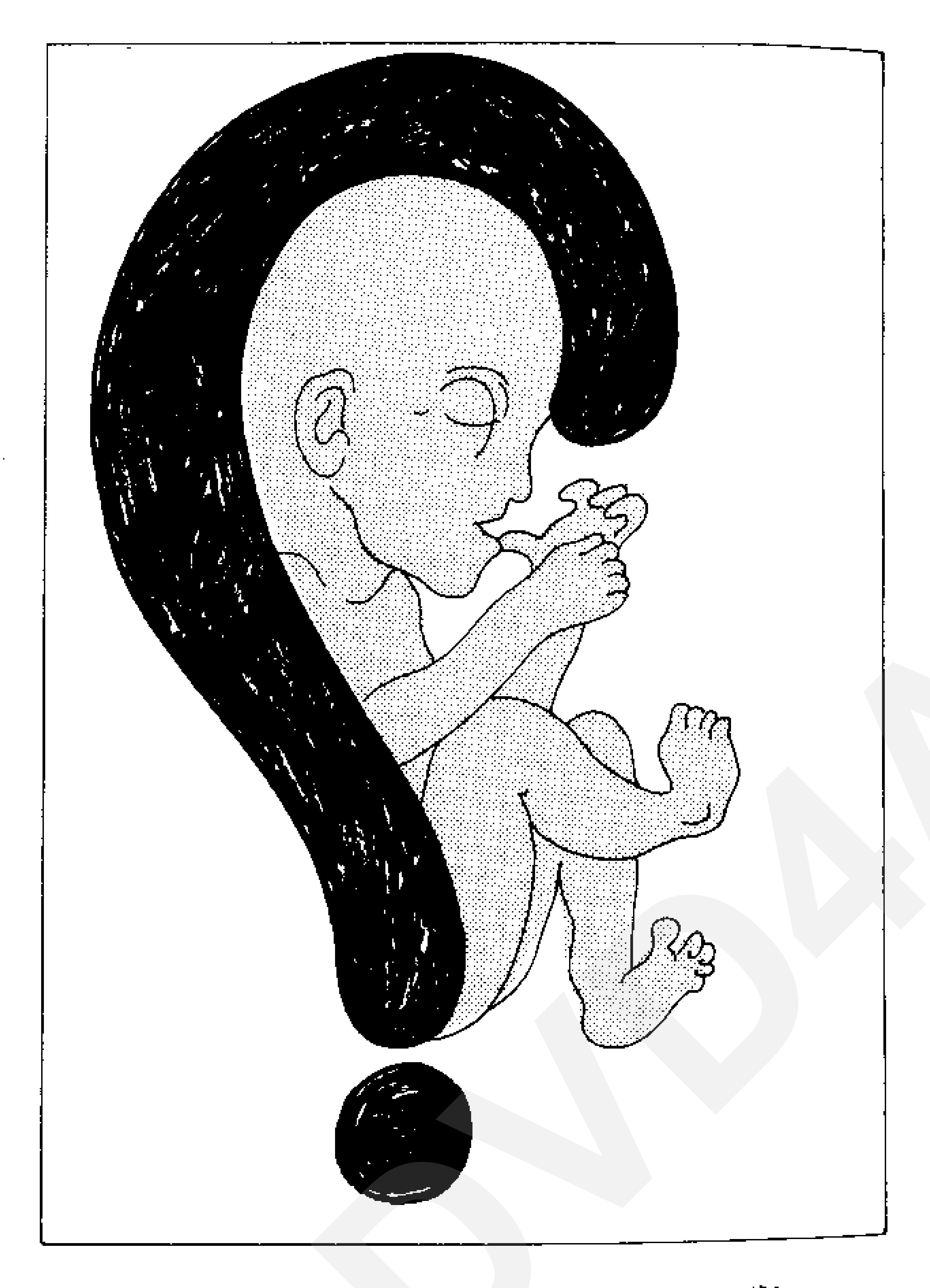
وقديما قال سقراط .. اعرف نفسك .. لانه كان يعلم ان هذه هي أصعب المعارف .. وانها المعرفة الكبرى التي إذا بدأت لا تنتهي .

وكان اينشتين يقول : كلما ازددت علما ازداد إحساسي بجهلي .

وهذه بداية العلم الحقيقي .. العلم الذي يورث الأدب مع الله .

جعلنا الله وجعلكم من أهل هذا الأدب .

□ □ □



هل عظماء الدنيا هم عظماء الآخرة .. ؟؟

كنا نشاهد جنازة الخوميني كما نقلتها شاشات التليفزيون .. أمواج من البشر تلطم وتندب .

رجال يضربون بأيديهم على صدورهم .

وشباب يعوى من البكاء كثكالى النساء .

وسمعت صوتا إلى جوارى يقول :

أتمنى أن أموت وتكون لى مثل هذه الجنازة .. هذا عظيم من عظماء الآخرة .

وقلت لصاحب الصوت :

هذه الجنازة شهادة ضد الرجل وليست شهادة فى مصلحته .. ان من يأخذ شعبا قويا ويتركه على هذه الحال من الضعف واليتم والاعتمادية .. يبكون وكأنما مات الرزاق فلا رزق لهم بعده .. وينوحون كأنما مات القادر فلا قدرة لهم فى غيبته .. هو زعيم متهم فى زعامته .. هو زعيم سلب الشعب إرادته وروحه وحريته وحوله إلى عالة معتمدة عليه .. ان ما تراه جناية تاريخية لا جنازة تاريخية .

□ □ □

ومثل هذا رأيناه فى مصر بعد موت عبد الناصر .

واكثر من هذا حدث فى روسيا بعد موت ستالين .. وما كادت تمر سنوات حتى افاق الروس وأدركوا حقيقة ما حدث لهم .. وما لبثوا ان أخرجوا الجثة المقدسة من محرابها فى الكرملين وأحرقوها .

ان هذه القوة التى تراها هى قوة مصنوعة .

طاغوط صنعه البوليس والمخابرات والحرس الثورى وسمعة قامت بقوة السلاح .

ان الرجل الذى جاء به الناس فى البداية تطوعا واختيارا ما لبث أن تحول إلى قلعة مدججة بالسلاح .. ورأى وحيد منفرد لا يجرؤ مخلوق على مخالفته حتى ولو كان على خطأ ، ولا مكان لأصحاب الرأى الآخر سوى السجون أو المشانق .

اما الأسطورة :

أسطورة الإمام صوت الله فى الشعب ويده فى الأرض وإرادته التى لا تغلب فهى من صناعة الاعلام الشيعى على مدى ألف عام ساهمت فيها ونفخت فيها اليوم صناعة أخرى اخطر هى التليفزيون والإذاعة والصحيفة والمجلة والمنشور والكتاب .. اجهزة غسيل المخ التى عرفناها وخبرنا تأثيرها فى تخدير العقول وبرمجة الشعوب على هوى الحاكم ومراده .

ان هذا الذى تراه صناعة متقنة وليس حقيقة .

قال صاحبى :

— أليس للموضوع أساس ؟

— بل هناك أساس .. فبعض الشخصيات لها مغنطيسية خاصة وقدرة على الهيمنة والتأثير وخطف الانتباه .. ومثل هذه الشخصيات إذا وجدت فرصتها اكتسحت وهيمنت واستولت وقامت بإلغاء كل ما عداها .. ومعظم تلك الشخصيات تكون فى العادة شخصيات عصابية شريرة ..

مثل هتلر وموسولينى وفرانكو وسالازار وسوموزا وستالين .. ومعظم تلك القوى تكون قوى رسبوتينية .

— وكيف تكون هذه القوى راسبوتينية فى الوقت الذى تكون فيه كل الشعارات المرفوعة إسلامية ؟

— وكيف تتصور إسلاما يعبر عن نفسه بخطف الرهائن وتفجير العربات الملغومة فى الأبرياء وإرسال الآلاف من الصبية فى العاشرة للموت فى حرب عقيم ونصب المشانق للرأى الآخر أينما وجد ؟ .

لقد دخل محمد عليه الصلاة والسلام مكة منتصرا على خصوم الأمس الذين قاتلوه واضطهدوه وعذبوا المسلمين وقتلوهم .. فسألهم قائلا : ماذا تظنون انى فاعل بكم قالوا أخ كريم وابن أخ كريم .. فقال اذهبوا فانتم الطلقاء .. من دخل منكم الكعبة فهو آمن ومن دخل بيت أبى سفيان فهو آمن .. (ابو سفيان عدو الإسلام اللدود) هذا هو نبى الإسلام وهذه سنته ، فأين هذا من إسلام صاحبنا ؟ .

ان الإسلام ليس شعارا .. انه سلوك وفعل ومنهج حياة .. ولا أظن صاحبك إلا من عظماء الدنيا ، أما الآخرة فإن لها موازين أخرى .

□ □ □

وفى كل يوم يموت عظماء يملأون الدنيا ضجيجا وصخبا ويغيرون التاريخ ويتركون تراثا يختلف فيه الناس .

بعضهم بلغ أقصى الغنى .. وبعضهم بلغ أقصى العلم .. وبعضهم شارف الذروة فى الفن .. وبعضهم قاد ثورات .. وبعضهم قاد انقلابات .. وبعضهم اكتشف قارات .. وبعضهم ابتكر اختراعات .. وبعضهم فجر فلسفات .. وبعضهم ابتدع ايديولوجيات .. وبلغوا جميعا أقصى حظوظ الدنيا .. واعتقدوا كلهم أنهم مصلحون وأنهم رسل خير .. وودعهم معاصروهم بالمراثى والأشعار وسارت خلفهم الجنائز يتزاحم

فيها الملايين ويتنافس فيها الباكون واعتقد الكل أنهم صائرون إلى أعلى عليين وانهم عظماء الآخرة كما كانوا عظماء الدنيا .

□ □ □

والتاريخ كله أمثلة على هذه القمم .. التى اختطفت الأضواء وملأت الصفحات واحتكرت الذكر لعدة قرون خلت وما زالت .

ونختار مثالا لا يختلف اثنان على عظمته .. هو المتنبى .. ذلك الرجل الفذ الذى ما زالت الكتب تصدر فى تحليل عبقريته .. وننظر معا فى أعماق هذه العظمة .

يقول الرجل عن نفسه :

ما مقامى بأرض نخلة إلا
كمقام المسيح بين اليهود

ويقول :

أنا فى أمة تداركها الله
غريب كصالح فى ثمود

ولهذا قالوا عنه : انه متنبى لانه شبه نفسه بالمسيح والحقيقة ان ما اعتقد بنفسه كان أكثر من ذلك .

أليس هو القائل :

أى محل ارتقى
أى عظيم أتقى
وكل ما خلق الله
وما لم يخلق
محتقر فى همتى
كشعرة فى مفرقى

هذا ما قاله فى نفسه . أما ما كان يقوله فيمن يمدحهم فأعجب .. قال فى ابن زريق :

يا من نلوذ من الزمان بظله
أبدا ونطرد باسمه ابليسا

وفى ابن اسحاق التنوخى :

فما ترزق الأقدار من أنت حارم
ولا تحرم الأقدار من أنت رازق

وفى ابن الاصبع :

أطاعك الدهر العصى كأنه
عبد إذا ناديت لبى مسرعا

وفى بدر بن عمار :

لو كان علمك بالإله مقسما
فى الناس ما بعث الإله رسولا
لو كان لفظك فيهمو ما أنزل الـ
فرقان والتوراة والإنجيلا

وفى سيف الدولة :

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى
إلى قول قوم .. أنت بالغيب عالم

وفى كافور الأخشيدى :

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه
لأوقفه شىء عن الدوران

يقول فى ذلك العبد الخصى لو أنك أبغضت الفلك الدوار لأوقفت دورانه بمشيئتك .. فجعل منه إلها .

وقال فى عضد الدولة :

أكثر الناس كالعابدين آلهة
وعبده كالموحد الله

وفى المغيث ابن بشر :

وأعطيت الذى لم يعط خلق
عليك صلاة ربك والسلام

مدح عجيب يصل فى مبالغته إلى درجة التبذل والتسول

في طلب المال ، فإذا لم يأت المال انقلب المدح هجاء مقذعا وسبابا فاحشا ، وفي الحالين بشعر باهر ساحر عظيم وصياغة عبقرية .

نحن أمام عظيم من عظماء الفن بلا جدال وأيضا رجل لا خلاق له .

يقول على بن حمزة وقد نزل عنده المتنبي بعد فراره من مصر انه لم يره يصلى أو يصوم أو يتلو قرآنا .

ذلك هو المتنبي اشعر شعراء العرب .. ملأ الدنيا وشغل الناس وبلغ اوفى الحظوظ من الثراء والشهرة والجاه وغطت سيرته التاريخ لعدة قرون وما زالت .. فما حظه من الآخرة ؟ ! وهل دخلها عظيما يصفق له الملائكة ويهتف له نقادهم .. أم كان له معهم شأن آخر ؟ .

وسارتر وكامي وموليير وفولتير وفاجنر ونابليون وغليوم وهتلر وستالين .. وماركس وانجلز ونيتشة وهيجيل .. وكلولومبس وباستير وفلمنج وكوخ ورونتجن .. وغيرهم وغيرهم .. من عظماء وأكابر الدنيا الذين غيروا التاريخ وحفلت بهم المراجع والسير واعتقدوا واعتقد معهم الملايين أنهم أصلحوا وبنوا وعمروا وأبدعوا .

أين هم الآن .. وما مصيرهم في الآخرة ؟ !

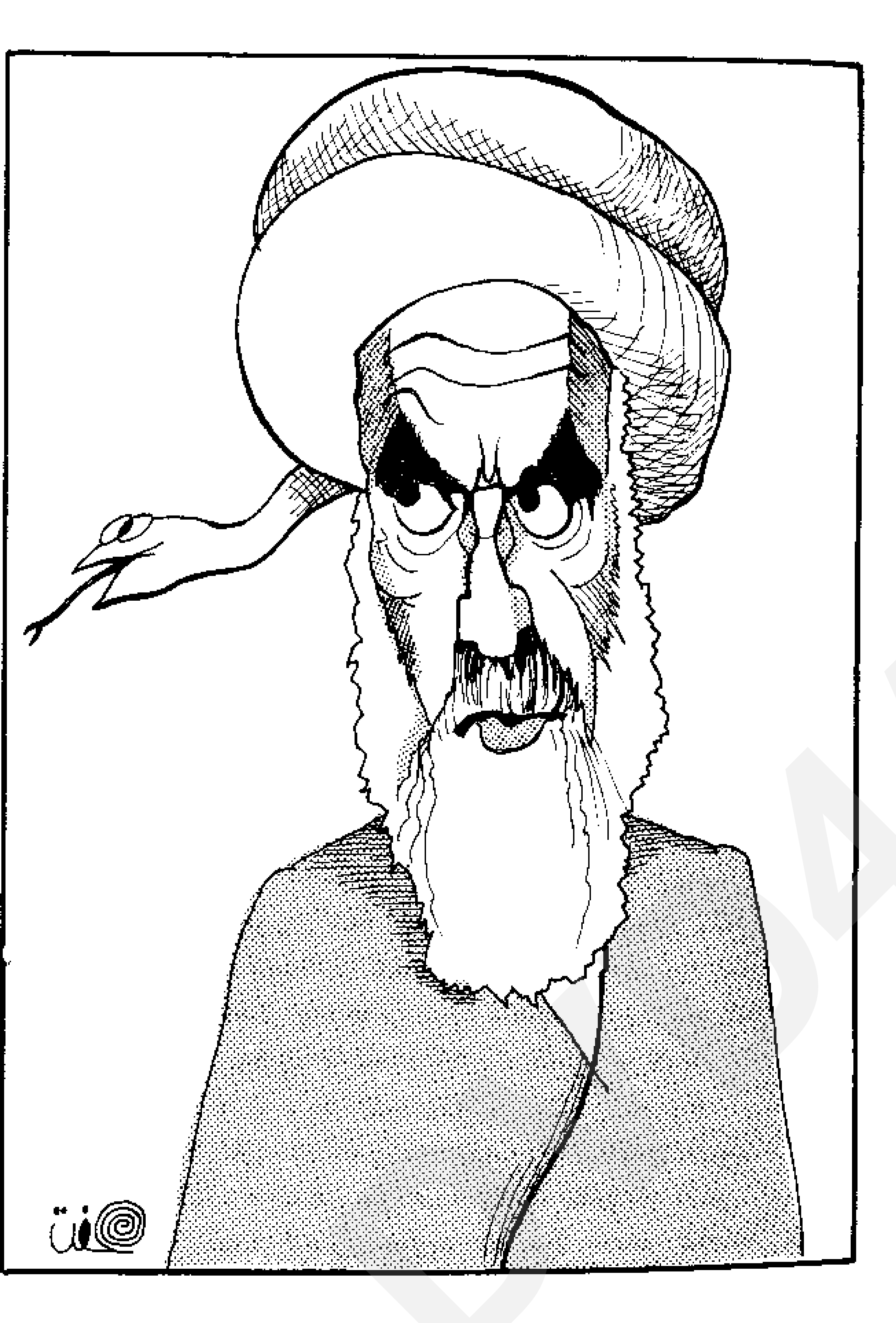
وهل للآخرة مقاييس أخرى للعظمة مختلفة عن مقاييس الدنيا .. وما هي ؟ :

* * * *

القرآن في ذلك صريح .. فالله يقول لنبيه :

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ .

لا يقول له .. وإنك لعلى علم عظيم .. أو على فن عظيم .. أو على قوة عظيمة أو ثراء عظيم أو عبقرية عظيمة .. بل يقول على خلق عظيم وحسب .



ويقول للنـــاس :

﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

لا يقول ان أكرمكم عند الله أعلمكم أو أفنكم أو أمهركم أو أغناكم أو أشعركم أو أكثركم ذكاء أو أكثركم مالا وولدا أو أكثركم قوة .

بل يقول أتقاكم .. فمقياس القرب من الله هو مدى التقوى وحسن الخلق .

بل ان العمل الصالح فى ذاته لا يكفى إلا إذا اقترن بالنية الخالصة التى تبتغى وجه الله .

أما بناء المستشفيات وإنشاء المدارس وتعمير المدن لمجرد الشهرة وليقال فلان بنى وأنشأ وعمر .

الخير الذى لا يتجاوز الإعلان عن الذات والدعاية والسمعة .. هذا الخير لا يدخل فى باب التقوى ولا فى باب الخلق .. وإنما على العكس يدخل فى باب الرياء ويقال لصاحب هذا الخير :

ابتغيت بالخير إرضاء غيرنا وقد رضوا .. وحيازة الشهرة وقد حزتها وطلب الدنيا وقد نلتها .. وأذهبت طيباتك فى الحياة الدنيا واستمتعت بها .. ولم يبق لك عندنا إلا ذنوبك .. وبها نعاملك .

والعلم لا يجزى إلا إذا أدرك صاحب العلم ان علمه من الله : وعرف اليد التى اعطته وعمل على شكرها وأدرك انه لن يفيها حقها شكرا ولو قضى عمره تسبيحا وعبادة .. وذلك هو العارف .. ولا ينجو العالم إلا إذا أصبح عارفا .

□ □ □

ومواهب الفن باب آخر من أبواب الكرم الإلهى حيث يتجلى الله باسمه الخالق على عبده فإذا به يخلق هو الآخر .

وإذا احتجب الفنان بغروره فلم يدرك مصدر نعمته وينبوع هبته فقد حرم نفسه حظ الآخرة وأصبح حاله كحال

قارون الذى قال عن ماله :

﴿ إنما أوتيته على علم عندى ﴾ .

فدخل بذلك باب الخسف والحرمان .

والآخرة لله ولا يفوز بها إلا أهل الله الذين عرفوه .. ومقاييسها مختلفة عن مقاييس الدنيا .. ولهذا قال الله عن الساعة انها خافضة رافعة .

أى انها تخفض قوما كانوا فى أوج العظمة فى الدنيا وترفع قوما كان لا ذكر لهم فى الدنيا ولا يدرى بهم أحد .

أما الفائز بالدارين فهم الأكابر الكمل الذين جمعوا بين خير الدنيا وخير الآخرة ، واجتمعت فيهم مكارم الأخلاق ودرر المعارف وهم الأنبياء والأولياء ومن فى درجتهم .

ولا يعلم الابن الذى يدفن أباه إلى أين يصير أبوه ؟ .

لا يعلم ذلك إلا الله الذى يعلم البواطن والنيات والقلوب ..

وذلك لأن السرائر هى مفتاح المصائر .

ومن ذا الذى يعلم السرائر إلا هو .

وظاهر الأعمال والأقوال تكفى للحكم لصاحب القضية فى الدنيا ولكنها لا تكفى لمعرفة الحكم فى الآخرة .

ولذا كان المصير لغزا محجوبا عن الكل .

ولذا كانت المفاجأة التى ليس بعدها مفاجأة .. حين تهتك الأستار وتكشف الأسرار .

ولهذا قال الله مقسما :

﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر ﴾ .

وقال عن المؤمنين الشاكرين الصابرين :

﴿ وقليل ما هم ﴾

وقال :

﴿ وماأكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ .

فالآخرة هى البرلمان الوحيد الذى تهلك فيه الأغلبية وتنجو الأقلية .

□ □ □

ومهما تعاظمت الذنوب فمغفرة الله أعظم ورحمته أوسع ..

وهناك من سبقت له من الله العناية فهو يعيش حياته كلها فى إسراف وغواية ثم يلحق به العفو ويتداركه اللطف فى آخر العمر فيفتح له الله أبواب التوبة ويمهد له فى الخيرات ويوفقه فى عديد الحسنات التى تمحو عديد سيئاته .. فماضى الإنسان ليس قدرا مسلطا عليه .. ولا يوجد ذنب يعظم على المغفرة ولا خطيئة تعلو على الرحمة ، وقد عاش سحرة فرعون حياتهم فى ضلال ثم فى لحظة زمان ماتوا أبرارا شهداء ورفعتهم الملائكة إلى منازل القديسين .

والعكس صحيح فقد يقضى العبد حياته فى طاعة وصلاة وعبادة ثم تسبق عليه الكلمة فى آخر العمر فيموت كافرا .

فلا تدل البدايات على الخواتيم ولا تحكم الظواهر على المصائر .. وإنما الأمر غيب الغيب .

فالصحافة لا تستطيع أن تقول .. أين الإمام الخومينى الآن ؟ .. وإن كانت تستطيع أن تقول بمقاييس الدنيا كم أخطأ وكم أصاب .

وهى قد تدخل الناس النار فى الدنيا بمقالاتها .. وهى قد تدخل بعضهم فى الجنة كل يوم بثنائها ومديحها .

أما بعد الموت فلا حكم لأحد على أحد .

ولا حكم إلا الله .

□ □ □



لمــاذا تمـرض نفوسـنا .. ؟

المؤمن لا يعرف شيئا اسمه المرض النفسى لانه يعيش فى حالة قبول وانسجام مع كل ما يحدث له من خير وشر .. فهو كراكب الطائرة الذى يشعر بثقة كاملة فى قائدها وفى أنه لا يمكن أن يخطىء لان علمه بلا حدود ، ومهاراته بلا حدود فهو سوف يقود الطائرة بكفاءة فى جميع الظروف وسوف يجتاز بها العواصف والحر والبرد والجليد والضباب .. وهو من فرط ثقته ينام وينعس فى كرسيه فى اطمئنان وهو لا يرتجف ولا يهتز إذا سقطت الطائرة فى مطب هوائى أو ترنحت فى منعطف أو مالت نحو جبل .. فهذه أمور كلها لها حكمة وقد حدثت بإرادة القائد وعلمه وغايتها المزيد من الأمان فكل شىء يجرى بتدبير وكل حدث يحدث بتقدير وليس فى الإمكان أبدع مما كان .. وهو لهذا يسلم نفسه تماما لقائده بلا مساءلة وبلا مجادلة ويعطيه كل ثقته بلا تردد ويتمدد فى كرسيه قرير العين ساكن النفس فى حالة كاملة من تمام التوكل .

□ □ □

وهذا هو نفس إحساس المؤمن بربه الذى يقود سفينة المقادير ويدير مجريات الحوادث ويقود الفلك الأعظم ويسوق المجرات فى مداراتها والشموس فى مطالعها ومغاربها .. فكل ما يجرى عليه من أمور مما لا طاقة له به .. هى فى النهاية خير .

إذا مرض ولم يفلح الطب فى علاجه .. قال فى نفسه .. هو خير .. وإذا احترقت زراعته من الجفاف ولم تنجح وسائله فى تجنب الكارثة .. فهى خير .. وسوف يعوضه الله خيرا منها .. وإذا فشل فى حبه .. قال فى نفسه الحمد لله .. حب فاشل خير من زيجة فاشلة .. فإذا فشل زواجه .. قال فى نفسه الحمد لله .. أخذت الشر وراحت .. والوحدة خير لصاحبها من جليس السوء .. وإذا أفلست تجارته قال الحمد لله لعل الله قد علم أن الغنى سوف يفسدنى وأن مكاسب الدنيا ستكون خسارة علىّ فى الآخرة .. وإذا مات له عزيز .. قال الحمد لله .. فالله أولى بنا من أنفسنا وهو الوحيد الذى يعلم متى تكون الزيادة فى أعمارنا خيرا لنا ومتى تكون شرا علينا .. سبحانه لا يسأل عما فعل .

وشعاره دائما .

﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ .

(٢١٦ - البقرة)

وهو لا يبكى على ما فاته ولا يفرح فرح الغرور بما يأتيه .. مصداقا للآية الكريمة .. ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ .

﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ .

(٢٢ - ٢٣ الحديد)

وهو دائما مطمئن القلب ساكن النفس يرى بنور بصيرته ان الدنيا دار امتحان وبلاء وانها ممر لا مقر ، وانها ضيافة مؤقتة شرها زائل وخيرها زائل .. وان الصابر فيها هو الكاسب والشاكر هو الغالب .

□ □ □

لا مدخل لوسواس على قلبه ولا لهاجس على نفسه .. لان نفسه دائما مشغولة بذكر العظيم الرحيم الجليل وقلبه يهمس .. الله .. الله .. مع كل نبضة .. فلا يجد الشيطان محلا ولا موطىء قدم ولا ركن مظلم فى ذلك القلب يتسلل منه .

وهو كما يقول العارفون الكمل .. قلب لا تحركه النوازل ولا تزلزله الزلازل .. لانه فى مقعد الصدق الذى لا تناله الأغيار .

وكل الأمراض النفسية التى يتكلم عنها أطباء النفوس لها عنده أسماء أخرى .

الكبت اسمه تعفف .

والحرمان رياضة .

والإحساس بالذنب تقوى .

والخوف (وهو خوف من الله وحده) عاصم من الزلل .

والمعاناة طريق الحكمة .

والحزن معرفة .

والشهوات درجات سلم يصعد عليها بقمعها ويعلو عليها بكبحها إلى منازل الصفاء النفسى والقوة الروحية .

والأرق .. مدد من الله لمزيد من الذكر .. والليلة التى لا ينام

فيها نعمة تستدعى الشكر وليست شكوى يبحث لها عن دواء منوم .

والندم مناسبة حميدة للرجوع إلى الحق والعودة إلى الله .

والآلام بأنواعها الجسدى منها والنفسى هى المعونة الإلهية التى يستعين بها على غواية الدنيا فيستوحش منها ويزهد فيها ويتقوى عليها .

واليأس والحقد والحسد أمراض نفسية لا يعرفها ولا تخطر له على بال .

والغل والثأر والانتقام مشاعر تخطاها بالعفو والصفح والمغفرة .

وهو لا يغضب إلا لمظلوم ولا يعرف العنف إلا كبحا لظالم .. والمشاعر النفسية السائدة عنده هى المودة والرحمة والصبر والشكر والحلم والرأفة والوداعة والسماحة والقبول .

تلك هى دولة المؤمن التى لا تعرف الأمراض النفسية .. ولا الطب النفسى .

□ □ □

وعلم نفس فرويد وأدلر وغيرهم من علماء الغرب يقف عاجزا خارج أبواب هذه النفس المؤمنة .. ولا حاجة لهذه النفس الكاملة إلى ترهات فرويد وعقده وكوابيسه لأنها تخطت الفلك الفرويدى وتخطت النفس الحيوانية التى يتحدث عنها فرويد وارتفعت بإيمانها إلى فلك آخر نورانى لا يعرفه علم النفس الغربى .

وهذا الإيمان العالى هو فى ذاته شفاء النفوس وبلسم الأرواح ، وهذا الإيمان هو الذى أصلح بال صاحبه مصداقا للآية الكريمة :

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾ .

(٢ ـ محمد)

والتوحيد هو الذى سلك المشاعر المضطربة فى تلك النفس ووحدها وأنقذها من التيه والشتات بين آلهة متعددة تخاف من هذا وذاك .

والأصنام المعبودة مثل .. المال والجنس والجاه والسلطان .. تحطمت ولم تعد قادرة على تفتيت المشاعر وتبديد الانتباه .. فاجتمعت النفس على ذاتها وتوحدت همتها .

وانقشع ضباب الرغبات وصفت الرؤية وهدأت الدوامة وساد الاطمئنان وأصبح الإنسان أملك لنفسه وأقدر على قيادها وتحول من عبد لنفسه إلى حر .. بفضل الشعور بلا إله إلا الله .. وبأنه لا حاكم ولا مهيمن ولا مالك للملك إلا واحد ، فتحرر من الخوف من هذا الحاكم ومن ذلك الكبير .. حتى الموت عنده أصبح تحررا وانطلاقا ولقاء سعيدا بحبيب .

اختلفت النفس وأصبحت غير قابلة للمرض .. وغير قابلة للتهديد .. وغير قابلة للإرهاب .

أصبحت كما يقول الخطاب الربانى فى كتاب المواقف والمخاطبات للنفرى :

إذا انكشف لك سرك فما عدت أنت . أنت .

أنت منى .. أنت تلينى .. وكل شىء فى الوجود يأتى بعدك .

لا شىء يقدر عليك إذا عرفت مقامك ولزمت مقامك .. فأنت أقوى من الأرض والسماء .. أقوى من الجنة والنار .. أقوى من الحروف والأسماء .. أقوى من كل ما بدا فى دنيا وآخرة .

وتلك النفس التى يتكلم عنها النفرى هى النفس الربانية التى ترى ببصر الله وتسمع بسمعه وتعمل بقوته .. فلا شىء يهزمها .

وقد ارتفعت إلى هذه المنزلة بالإيمان والطاعة والعبادة فأصبح اختيارها هو ما يختاره الله ، وهواها ما يحبه الله .. وذابت الأنانية والشخصانية فى تلك النفس فأصبحت أداة عاملة ويدا منفذة لإرادة ربها .

واصبح كلامها هو كلام العبد الصالح فى سورة الكهف .. ذلك العبد الذى خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار .. ثم قال لموسى فى النهاية مفسرا لغز ما صنع .

﴿ وما فعلته عن أمرى .. ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا ﴾ .

(٨٢ - الكهف)

فشأنه فى النهاية أصبح كشأن الملائكة .. شئونهم هى شئون ربهم .. فهم جنود لإرادته .

والنفس المؤمنة لا تعرف داء الاكتئاب .. فهى على العكس نفس متفائلة تؤمن بأنه لا وجود للكرب مادام هناك رب .. وأن العدل فى متناولنا مادام هناك عادل .. وأن باب الرجاء مفتوح على مصراعيه مادام المرتجى والقادر حىٌّ لا يموت .

□ □ □

والنفس المؤمنة فى دهشة طفولية دائمة من آيات القدرة حولها .. وهى فى نشوة من الجمال الذى تراه فى كل شىء .. ومن إبداع البديع الذى ترى آثاره فى العوالم من مجراتها الكبرى إلى ذراتها الصغرى .. إلى الكترووناتها المتناهية فى الصغر .. وكلما اتسعت مساحة العلم اتسع أمامها مجال الإدهاش وتضاعفت النشوة .. فهى لهذا لا تعرف الملل ولا تعرف البلادة ولا تعرف الكآبة .

وحزن هذه النفس حزن مضىء حافل بالرجاء .

وهى فى ذروة الألم والمأساة لا تكف عن حسن الظن بالله .. ولا يفارقها شعورها بالأمن لأنها تشعر بأن الله معها دائما ، وأكثر ما يحزنها نقصها وعيبها وخطيئتها .. لا نقص الآخرين وعيوبهم .

ولكن نقصها لا يقعدها عن جهاد عيوبها .. فهى فى جهاد مستمر وفى تسلق مستمر لشجرة خطاياها لتخرج من مخروط الظل إلى النور المنتشر أعلى الشجرة لتأخذ منه الحياة لا من الطين الكثيف أسفل السلم .

انها فى صراع وجودى وفى حرب تطهير باطنية .

ولكنه صراع هادىء واثق لا يبدد اطمئنانها ولا يقتلع سكينتها لأنها تشعر أنها تقاتل باطلها بقوة الله وليس بقوتها وحدها .

والإحساس بالمعية مع الله لا يفارقها ، فهى فى أمن دائم رغم هذا القتال المستمر لأشباح الهزيمة ولقوى العدمية بداخلها .. فهى ليست وحدها فى حربها .

□ □ □

ذلك هو الجهاد الأكبر الذى يشغل النفس عن التفاهات والشكايات والآلام الصغيرة ويحفظها من الانكفاء على ذاتها والرثاء لنفسها والاحتفاء بمواهبها .. فهى مشغولة عن نفسها بتجاوز نفسها وتخطى نفسها والعلو على ذاتها .. فهى فى رحلة خروج مستمرة .. رحلة تخطى وصعود .. ودستورها هو :

ان تقاوم أبدا ما تحب وتتحمل دائما ما تكره .

وطريقها .. طريق الأنبياء .. تمشى على خطاهم .

وذلك هو الصراط .

أدق من الشعرة .

□ □ □

والفرق فيه أدق من الشعرة بين الادعاء والإخلاص .
ولا يعرف مقدار الإخلاص فى هذا الطريق إلا رب السرائر .
النفس ذاتها لا تستطيع أن تتبين مقدار إخلاصها ومقدار ما يشوبها من ادعاء .. يقول ربنا فى الهامات العارفين :
الإخلاص سر من سرى استودعته قلوب أصفيائى لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيبطله ولا هوى فيميله .
ويقول الله فى القرآن عن سيدنا يوسف عليه السلام :
﴿ انه كان من عبادنا المخلصين ﴾ (بفتح اللام إشارة إلى أنه هو سبحانه الذى أخلصه) .
ويقول عن الأبرار الأخيار :

﴿ إنا أخلصناهم بخالصة .. ذكرى الدار ﴾ .

(ص - ٤٦)

والوحدة بالنسبة لهذه النفس ليست وحشة بل أنسا .. وليست خواء بل امتلاء .. وليست فراغا بل انشغال .. وليست صمتا .. بل حوار داخلى واستشراف نورانى .
وهى ليست وحدة بل حضن آمن .
ومشاعر تلك النفس منسابة مع الكون متآلفة مع قوانينه متوافقة مع سننه متكيفة بسهولة مع المتغيرات حولها .. فيها سلاسة طبيعية وبساطة تلقائية .. تلتمس الصداقة مع كل شىء .. ومثالها الكامل هو النبى محمد عليه الصلاة والسلام حينما كان يحتضن جبل أحد ويقول : هذا جبل يحبنا ونحبه .. فالمحبة الشاملة هى أصل جميع مشاعرها .
إنها فى صلح دائم مع الطبيعة ومع القدر ومع الله .

□ □ □

وعذابها الوحيد خطيئتها وإحساسها بالبعد والانفصال عن خالقها .. وهو عذاب يخفف منه الإيمان بأن الله عفو كريم

تواب يحب عباده الأوابين المستغفرين .
وهى أقرب ما تكون إلى ربها وهى ساجدة ذائبة حبا وخشوعا .
وذلك معراجها التى تكون فيه قاب قوسين أو أدنى من النبع والمنهل وتكون فيه أشبه بنغمة شاردة تعود فتلتحم بالسيمفونية الموسيقية للوجود وترتعش أوتارها رعشة الانسجام الشامل فى لذة روحية عظمى .. لا يعرفها إلا من ذاقها وكابدها .
يقول العارفون الأكابر : نحن فى لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف .. ولكن أنى للملوك أن يعرفوها وهم غرقى الدنيا وسجناء ماديتها .

□ □ □

والدين وطاعاته ومجاهداته هو السبيل إلى ميلاد تلك النفس وخروجها من شرنقتها الطينية .
ولا يوجد سبيل آخر لميلادها .. فالعلم لا يلد إلا غرورا والفن لا يلد إلا تألها .. والدين وحده هو المحضن الذى تتكامل فيه النفس وتبلغ غايتها .
وبين العلماء مرضى نفوس مشغولون باختراع القنابل والغازات السامة .
وبين الفنانين متألهون بوهيميون غرقى اللذائذ الحسية .
والدين وحده هو سبيل النفس إلى كمالها ونجاتها وشفائها .
والنفس المؤمنة نفس عاملة ناشطة فى خدمة الآخرين ونجدتهم لا يقطعها تأملها عن الشارع والسوق وزحام الأرزاق .
والعمل عندها عبادة .
والعرق والكدح علاج ودواء وشفاء من الترف وأمراض الكسل والتبطل .

حياتها رحلة أشواق .. ومشوار علم .. ورسالة خدمة .
والعمل بابها إلى الصحة النفسية .
ومنتهى أملها أن تظل قادرة على العمل حتى النفس الأخير
وان تموت وهى تغرس شجرة أو تبنى جدارا أو توقد شمعة .

تلك النفس هى قارب نجاة
وهى فى حفظ من أى مرض نفسى
ولا حاجة بها إلى طب هذه الأيام ..
فحياتها فى ذاتها روشتة سعادة

□ □ □

لماذا أنا ذكر وأنت أنثى .. ؟

في إحدى جزر الكاريبى حدثت ظاهرة غريبة استوقفت النظر واثارت التساؤلات فى كل الأوساط العلمية . فقد تحولت ٣٧ بنتا فى سن البلوغ فجأة إلى ذكور .. حدث ذلك فى ٣٢ عائلة .. وكان مظهر البنات كامل الأنوثة بصدور ناهدة كما كانت الأعضاء التناسلية الخارجية أعضاء أنثوية .. ثم فجأة حدث التحول تلقائيا وبدون أى تدخل طبى أو جراحى .

وعكفت بعثة طبية أوروبية على دراسة الظاهرة .

□ □ □

واثبتت الدراسة أن جميع البنات كن (من حيث التشريح الباطنى) ذكورا من البداية .. أى كانت لهن خصية مكتملة داخلية ولم يكن لهن أرحام أو مبايض .. أما سبب أنوثة المظهر الخارجى فكان عيبا فى أحد الجينات الوراثية التى كان لها دور هام فى بناء الهرمون الذكرى .. وقد جاء التحول من تلقاء نفسه مع البلوغ ومع إفراز الخصيات الداخلية

للهرمون الذكرى بغزارة .. فكان هذا النشاط معوضا عن تلف الجينة الوراثية .. وحدث التصحيح بدون أى تدخل طبى .

ولغز الذكورة والأنوثة ظل غامضا حتى اكتشف العلماء دور الجينة الوراثية .S.R.Y فى الكروموسوم Y بالحيوان المنوى الذى يلقح البويضة الأنثوية بعد الجماع .. فإذا حدث وكان الحيوان المنوى يحتوى على هذا الكروموسوم Y فإن هذا يعنى أن هناك أوامر في ورقة العمل بأن يكون الجنين ذكرا .

□ □ □

والغدد التناسلية فى كل جنين تكون محايدة وقابلة للتحول إلى خصيات أو مبايض حسب نوع الحيوان المنوى الذى سيلقح البويضة .. فإن كان فيه الكروموسوم Y .. فإن الغدة التناسلية تتحول إلى خصية .. وان كان فيه الكروموسوم X فإن الغدة تتحول إلى مبيض وتكون النتيجة أنثى .

ان قدر كل منا مكتوب فى اللوح المحفوظ الصغير الدقيق فى دماغ الحيوان المنوى وهو معلوم مسبقا قبل لقاء الحيوان المنوى بالبويضة .

وما يحدث عند لقاء الحيوان المنوى بالبويضة وحدوث التلقيح .. هو تنفيذ المكتوب وجريان القدر بما كتب فى اللوح المحفوظ .

□ □ □

والطريف فى الموضوع هو ما يحدث إذا لقح البويضة حيوانان منويان فى وقت واحد وكان فى كل منهما ورقة عمل مختلفة .. أى كان أحدهما Y والآخر X .

والاحتمال فى هذه الحالة أن ينشأ نصف الجنين أنثى والنصف الآخر ذكرا .. أى يولد الجنين خنثى مثل الدودة الشريطية له مبيض وخصية داخليا فى وقت واحد . وأيضا

قضيب ومهبل من حيث أعضائه الخارجية .

وقد سجلت الإحصاءات ٢٥ حالة من هذا النوع بطول التاريخ .. وفى تلك الحالات يكون للمولود عند إدراك البلوغ الخيار فى أن يكون ذكرا (وذلك بأن يجرى عملية استئصال جراحى لأعضاء الأنوثة) أو أن يكون أنثى (وذلك بإجراء استئصال جراحى لأعضاء الذكورة) .

كما ان له الخيار فى أن يعيش خنثى وان يلقح نفسه بنفسه باعتباره رجلا وامرأة فى نفس الوقت .. ولم يحدث بين الـ ٢٥ حالة أن اختار الضحية هذا المصير .

□ □ □

والحالتان اللتان تحتفظ بهما السجلات الطبية .. هما حالة خنثى فى الفيليبين اختارت أن تكون ذكرا وأجرى لها الجراح استئصالا كاملا لأعضاء الأنوثة ونجحت الجراحة .. والحالة الثانية فى النرويج ولم تكن تامة الخنوثة واختارت أن تكون امرأة فأجرى لها الجراح استئصالا لأعضاء الذكرية .. وتزوجت ولكنها عاشت عقيما لأن الرحم كان ضامرا .

ومن علماء الفسيولوجيا من يقول بأن الأصل فى الإنسان هو الأنوثة وان ذكورة الجنين لا تحدث إلا بهندسة وراثية نتيجة دخول الكروموسوم Y على البويضة .

وقد جاءت الأخبار أخيرا من لندن بتحويل ثلاثة أجنة لفئران إناث إلى ذكور عن طريق حقن الجينة الوراثية .S.R.Y .. وقام بهذا التحويل فريق من ثلاثة علماء بريطانيين .

والتجربة تثبت أن الذكورة والأنوثة هى من عمل الجينات الوراثية .. ولكنها لا تثبت أن الأصل فى الإنسان هى الأنوثة .. والأكثر صدقا أن نقول : ان الجنين الإنسانى يأتى محايدا وقابلا للأنوثة والذكورة من البداية .. ثم يتوقف المصير على ما يحمله الحيوان المنوى فى دماغه .. هل هو الكروموسوم Y أو الكروموسوم X .. وما هى التعليمات

المكتوبة فى اللوح المحفوظ فى دماغ الحيوان .
وهو واقع يؤيده القرآن فى الآية الكريم :

﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى ﴾ .

(٤٦ ـ النجم)

أى أن السر هو النطفة المنوية .. وفى آية أخرى :

﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ﴾ .

(١٨٩ ـ الأعراف)

﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ﴾ .

(٦ ـ الزمر)

وهذا يعنى ان أصل الذكورة والأنوثة واحد والله يجعل للنفس زوجها منها .

والرأى الآن أن مخ الذكر يختلف عن مخ الأنثى تشريحيا وأن الفروق السلوكية بين المرأة والرجل ليست ناتجة عن التربية والاكتساب من الأب والأم فقط .. وإنما هناك فروق عضوية واختلافات بين مخ الرجل ومخ المرأة .. وراء الفروق بين شخصية المرأة وشخصية الرجل .

□ □ □

وقد يحدث بسبب خلل هرمونى أن تجد امرأة لها عقل رجل (والمثال الحاضر هو مثال مسز تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية التى وصفوها بأنها المرأة الحديدية) وقد يحدث العكس أن نجد رجلا يفكر بعقلية امرأة .

وقد خرج علينا من العلماء من يعتذر للشواذ جنسيا بأنهم مرضى بسبب خلل فى اداء الجينات الوراثية .. وأن الشذوذ

الجنسى مرض عضوى وليس انحرافا خلقيا .. وهو كلام ينقصه الدليل .. فلم يثبت بالتحليل الهرمونى لدماء الشواذ هذا الخلل المزعوم .

□ □ □

وما يحدث فى أمراض الغدة النخامية حينما تظهر للمرأة لحية وشارب .. اننا لا نرى المرأة تتغير سلوكيا فتميل إلى رفقة الإناث .. وإنما الذى يحدث أنها تشمئز تماما من شاربها ولحيتها وتستنجد بالأطباء .. والخلل فى هرمون A.C.T.H. لا يجعل منها امرأة شاذة جنسيا .. كما انه لم يحدث أن حقن الرجل بهرمونات المبيض يجعل الرجل من الشواذ جنسيا .

والأقرب أن يكون الشذوذ تمردا خلقيا وانحلالا وترفا ومللا ورغبة فى التلوين .

□ □ □

ولكن العقل الأوروبى يحاول أن يفسر الانحلال بالهرمونات ويحاول أن يعالج كل شىء بالحقن ويزعم أن كل شىء مادة حتى الأخلاق والفضائل .. وهم سعداء جدا بالنتيجة التى وصلوا إليها وهى ان الذكورة والأنوثة هندسة وراثية وجينات وتعليمات وأوامر مكتوبة بحروف شفرية من حمض الريبونيوكلييك فى دماغ الحيوان المنوى .

□ □ □

ولا أحد يفكر فى من هو الذى كتب تلك الشفرة ومن أودعها فى هذه الصحيفة المتناهية فى الصغر (مجموع الجينات لكل البشر من أيام آدم إلى الآن لا تملأ نصف فنجان) وعدد الجينات فى كل فرد منا يتجاوز التسعمائة ألف جينة تحمل أكثر من تسعمائة ألف معلومة عن بناء كل منا وصفاته .. فهى مجلد أو عدة مجلدات أو مكتبة فى حجم أصغر ألف مرة من الهباءة .

□ □ □

من هو الكاتب الذى كتب أقدارنا وصفاتنا وتاريخنا فى داخل هذا اللوح الأسطورى فى صغره (ألف مرة أصغر من الهباءة) .

وبأى يد تباركت وتقدست فى قدراتها ومهاراتها وعظمتها وعلمها وعدلها وحكمتها سُطرت هذه الأقدار فى هذا المجلد الشفرى المتناهى فى الصغر .

□ □ □

ولا اقل من السجود خشوعا وإكبارا لهذه العظمة .. حيث تعجز العبارة عن الوفاء بالمعنى .

ولكنهم لا يسجدون .. فعلمهم مازال علما ماديا صرفا .. وهو علم يجرى أكثره فى اتجاه واحد .. من المعامل إلى الكومبيوترات إلى الكتب .

وفى فرحتهم بالعلم ينسون المعلم والملهم المحتجب وراء الغيب .. لأنهم ما عادوا يهابون الغيب .. من فرط ما أدمنوا هتك الغيب .

وينسون أنهم ما هتكوا الغيب إلا بإذن الغيب .. وما اكتشفوا ما اكتشفوه إلا بإلهام من رب الغيب .

والسؤال الذى يتبادر إلى أذهانكم الآن :

ولماذا لا يوحى الله إلى المسلمين بشىء ولا يلهمهم بشىء من هذه الكشوف والعلوم .. لماذا تخرج الاختراعات والمبتكرات والاكتشافات من نصف الكرة الآخر ؟ .

والجواب هو حالة الإغماء والغيبوبة والتخلف والكسل فى بلاد المسلمين الذين ما عادوا مسلمين .. وما عاد إسلامهم إلا بطاقة مجردة بلا قيم وبلا أخلاق .. فكيف ينزل الإلهام على غافل وكيف ينزل الوحى على عقول أقفلت أبوابها بترابيس التعصب والجهل .

انهم الآن مصداق الآية :

﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ .

(٦٧ - التوبة)

﴿ نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ .

(١٩ - الحشر)

﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ﴾ .

(١٩ - المجادلة)

﴿ نسوا الذكر وكانوا قوما بورا ﴾ .

(١٣ - الفرقان)

وهذا البوار والخراب والتخلف فى ديار المسلمين هو نتيجة لعدم الأخذ بأسباب العلم .

فكيف نتوقع من الذين ينزلون البحر دون أن يتعلموا السباحة .. إلا الغرق .

وهذا حالنا الآن .

نحن غرقى الجهالة .. حتى اشعار آخر .

□ □ □

ما هو تمام التوحيد .. ؟

الله واحد أحد منفرد بالخلق والفعل والتدبير فى الكون بلا شريك .

﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ﴾ .

(٩١ ـ المؤمنون)

﴿ قل ولو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا ﴾ .

(٤٣ ـ الإسراء)

﴿ وجعلوا له من عباده جزءا ان الإنسان لكفور ﴾ .

فلا يصح القول عن إنسان أن ظاهره ناسوت وباطنه لاهوت .. فالله الأحد صمد (أى لا يقبل القسمة ولا يقبل التجزئة) .. وهو متعال وليس كمثله شيء لا يتحيز فى مكان ولا يتزمن بزمان ولم يأت عن سبب (فلا يصح أن نقول من خلق الله ؟) لأنه ليس معلولا بعلة بل هو خالق لجميع العلل



وفوق جميع الأسباب ، وهو أول لا أول قبله وآخر لا آخر بعده فهو أزلى أبدى واجب الوجود بذاته فى غير حاجة إلى من يوجده .. قديم .. كان من الأزل ولا شىء معه وهو الآن على ما عليه كان .. وكل جديد بالنسبة له تحصيل حاصل .. فجميع ما خلق ويخلق هى أشياء يبديها ولا يبتديها .
والقرآن يسند إلى الله كل شىء :

﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا ﴾ .
(٢٥ - ٢٩ عبس)

﴿ أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ .
(٦٣ - ٦٤ الواقعة)

﴿ أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴾ .
(٦٨ - ٦٩ الواقعة)

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ﴾ .
(٢١ - الزمر)

﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾ .
(٢٥ - الحديد)

﴿ الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ .
(٤٠ - الروم)

﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ .
(٤٢ - الزمر)

وجميع الكوارث هو الذى ينزلها .. وهو الضار فى كل ما يضر والنافع فى كل ما ينفع .

﴿ وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾ .
(٧٤ - الحجر)

﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ﴾ .
(١٣٣ - الأعراف)

﴿ فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات ﴾ .
(١٦ - فصلت)

﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم ﴾ .
(٤٠ - القصص)

﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾ .
(٨١ - القصص)

﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ﴾ .
(٣١ - القمر)

□ □ □

وجميع الفتن هو الذى يأذن بها ، فهو الذى يفتن خلقه ويختبرهم ويعذبهم ويكافؤهم .

﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة .. أتصبرون .. وكان ربك بصيرا ﴾ .

(٢٠ ـ الفرقان)

﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ﴾ .

(٥٣ ـ الأنعام)

﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم ﴾ .

(٣ ـ العنكبوت)

ويقول لموسى :

﴿ وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا ﴾ .

(٤٠ طـه)

﴿ ومن يُرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ﴾ .

(٤١ ـ المائدة)

﴿ فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى ﴾ .

(٨٥ ـ طـه)

ولذلك يقول موسى عليه السلام لربه طالبا المغفرة لقومه :

﴿ إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ﴾ .

(١٥٥ ـ الأعراف)

ويقول ربنا معلما نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام :

﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ .

(٥٦ ـ القصص)

﴿ قل إنى لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله ﴾ .

(٤٩ ـ يونس)

﴿ قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ﴾ .

(٢١ ـ الجن)

﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ﴾ .

(٩ ـ الأحقاف)

﴿ إن يردن الرحمن بضر لا تغنى عنى شفاعتهم شيئا ﴾ .

(٢٣ ـ يس)

وعن السحرة يقول ربنا :

﴿ وما هم بضارين من أحد إلا بإذن الله ﴾ .

(١٠٢ ـ البقرة)

وعن الشيطان :

﴿ وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله ﴾ .

(١٠ ـ المجادلة)

ومن أجل هذا يقول لعباده :

﴿ فلا تخافوهم وخافون ﴾ .
(١٧٥ ـ آل عمران)

﴿ فلا تخشوهم واخشون ﴾ .
(١٥٠ ـ البقرة)

ويقول للنبى :

﴿ ليس لك من الأمر شىء ﴾ .
(١٢٩ ـ آل عمران)

﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ .
(٤ ـ آل عمران)

﴿ قل إن الأمر كله لله ﴾ .
(١٥٤ ـ آل عمران)

﴿ بل لله الأمر جميعا ﴾ .
(٣١ ـ الرعد)

﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾ .
(٥٩ ـ الأنعام)

﴿ ولله ما فى السموات وما فى الأرض ﴾ .
(١٢٩ ـ آل عمران)

﴿ وله ما سكن فى الليل والنهار ﴾ .
(١٣ ـ الأنعام)

وله أيضا ما نخترع ونؤلف فهو الملهم والموحى بكل جديد .

﴿ وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام ﴾ .
(٢٤ ـ الرحمن)

وهى كل ما نصنع من مراكب وسفن .. ويقول عن نوح :

﴿ فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ﴾ .
(٢٧ ـ المؤمنون)

وهكذا صُنعت أول سفينة تحت عين الله وبوحيه .. وينسحب هذا على كل نصنع ونخترع فهى ملكه بالأصالة وملكنا بالإنابة .

ووحى الله متصل بكل خلقه من نبات وحيوان وإنسان وجماد وليس فقط بالرسل .

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ .
(٦٨ ـ النحل)

﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه ﴾ .
(٧ ـ القصص)

﴿ قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم ﴾ .
(٦٩ ـ الأنبياء)

﴿ قلنا يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى ﴾ .
(٤٤ ـ هـود)

« ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها .. قالتا أتينا طائعين » (وذلك فى أول الخلق) وهو سبحانه وحده الذى يصلح الصالحين ويخلص المخلصين ويزكى الأنفس برحمته .

يقول عن الأخيار من خلقه :

﴿ وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ .

(٧٣ ـ الأنبياء)

وعن الحواريين :

﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا ﴾ .

(١١١ ـ المائدة)

﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ .

(٢٤ ـ السجدة)

بل هو الذى يضع الحجة البالغة فى افواهنا لنخرس بها خصومنا .

﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ .

(٨٣ ـ الأنعام)

□ □ □

.. حينما ادعى النمرود أنه يحيى ويميت قال له إبراهيم : ﴿ إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ﴾ .. قال ذلك إلهاما عن ربه .. وكذلك المكيدة التى جاء بها يوسف ليأخذ أخاه من دين الملك ـ يقول الله ..

﴿ كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله ﴾ .. كان الله هو صاحب هذه المكيدة .

□ □ □

ولهذا يقول رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام .. لمن يسأله .. يا بنى إن الناس كلهم لو اجتمعوا على أن يضروك بشىء ما ضروك إلا بشىء كتبه الله عليك وإن اجتمعوا على أن ينفعوك ما نفعوك إلا بشىء كتبه الله لك .

ويقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن ربه : ﴿ الذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ وفى كتاب المواقف والمخاطبات .

إذا أكلت من يدى وشربت من يدى لم تطعك جوارحك فى معصيتى .

ويبقى بعد ذلك السؤال الكبير :

إذا كان الله منفردا بالقضاء والقدر والتصريف والفعل والرزق والضر والنفع والهداية .. وإذا كان الأمر كله لله وليس لنا من الأمر شىء فماذا بقى لنا ؟ .

يقول العارفون : بقيت لنا النية والمبادرة وعليها نحاسب .

وآيات كثيرة من القرآن جعلت فعل الرب مؤسسا على مبادرة العبد وعلى علمه بقلبه ونيته .

﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ .

(١٧ ـ محمد)

﴿ فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ﴾ .

(١٠ ـ البقرة)

﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ .

(٥ ـ الصف)

﴿ ولو علم فيهم خيرا لأسمعهم ﴾ .

(٢٣ ـ الأنفال)

﴿ فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ﴾ .

(١٨ ـ الفتح)

القلب إذن هو عمدة الحكم .. وعليه يتأسس الفعل الإلهى .

ولهذا جعل الله قلب الإنسان حرا .

لو اجتمعت سلطات العالم على قلب رجل واحد لما استطاعت أن تغيره كرها .

ولو تحالف الحديد والنار والسجن والتهديد على سجين فى زنزانة انفرادية لما استطاعت تلك القوى مجتمعة أن تجعل هذا السجين يحب ما لا يحب أو يكره ما لا يكره .

ربما استطاع السجان أن يقهر سجينه على التوقيع على ورقة بالإكراه .. ربما استطاع أن يرغمه على تقطيع الحجارة وأكل الحصى .. ربما استطاع أن يقطع لسانه وينزع جلده ولكن لا ولن يستطيع أن ينزع ذرة كراهية من قلبه أو يبدل عواطفه قهرا .

□ □ □

فهناك فى أعمق الأعماق نفس أعتقها الله من كل القيود .

لا سلطان لأحد عليها .. حتى الشيطان لا يستطيع أن يدخلها إلا بدعوة .

يقول ربنا للشيطان :

﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ .

(٤٢ ـ الحجر)

ويقول العارفون : لا يستطيع أحد أن يدخل إلى القلب وإلى النية .. إلا الله .

﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وانه إليه تحشرون ﴾ .

(٢٤ ـ الأنفال)

فهو بلطفه قد يحول بين النية وصاحبها إذا رأى انها ستهلكه وأنس منه تقوى .

وهو بذلك قد يفوت عليه ذنبا إذا علم فيه خيرا .

وذلك باب من أبواب اللطف الخفى .

وفى أعمق آيات القرآن يخاطب الله محمدا عليه الصلاة والسلام قائلا :

﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ .

(١٧ ـ الأنفال)

ويقول للمؤمنين المقاتلين :

﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾ .

(١٧ ـ الأنفال)

فيثبت لنبيه الرمى وينفيه مع انه رمى بالفعل .. وينفى عن المؤمنين قتلهم للكفار مع أنهم قتلوهم بالفعل ورأى العين .

وهنا كلام كثير يقوله العارفون الأكابر .. فالله هو الفاعل لكل شىء بالأصالة أو الوكالة (فمن أسمائه انه الوكيل) أى القائم على إنفاذ الأعمال .. وما كان دورنا إلا النية وتوجيه الطاقة .. ولكن الطاقة طاقته والقوة قوته .. حتى القوة التى فى ذراعنا أو الصلابة التى فى السيف أو التفجير الذى فى القنبلة .. فكل هذه الطاقات طاقاته التى خلقها فينا أو ألهمنا بها وأعلمنا بأسرارها .

﴿ لا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ﴾ .

فما كان للنبي من عمله إلا النية والمبادرة .. وكذلك المؤمنون .. وعليها يثابون وبها يحاسبون .. أما جميع الأفعال فهي لله .. وما كانت لنا طاقة نفعل بها أى شيء لولا مدده فهو الذي أنفذ جميع الأعمال بطاقاته وأسبابه .

□ □ □

حتى هذه النية فانه يدخلها بلطفه ليشد من أزرنا ويثبت قلوبنا او يشتتنا رعبا إذا أراد .

فها نحن أولاء فى نهاية المطاف لا نملك من أنفسنا إلا العدم .

والله بكرمه هو الفاعل لكل أفعالنا الكريمة .. ثم هو يشكرنا عليها ويكافئنا بالجنة على أفعال هو صانعها .. فهل بعد ذلك من كرم .. وهل بعد ذلك من حب ؟ .

يقول ربنا فى حديث قدسى :

يا عبد خلقت كل الأشياء لك وخلقتك لى فلا تنشغل بما هو لك عمن انت له .

□ □ □

وفى المواقف والمخاطبات :

يا عبد كل شيء لى فلا تنازعنى مالى .

يا عبد أجبت كل من يدعوك ولا تجيبنى ؟

يا عبد غرت عليك فنهيتك .

يا عبد لا أكون انا المنتهى حتى ترانى من وراء كل شيء .

يا عبد لا تسكر بسواى تكن عارفا .

يا عبد ليس بينى وبينك بين .

ليس بينى وبينك أنت .

فانظر إلىّ فإنى أحب أن أنظر إليك .

يا عبد اهدم ما بنيته بيدك قبل أن أهدمه بيدى .

يا عبد ميعاد ما بينك وبين أهل الدنيا أن تزول الدنيا فترى اين أنت وأين أهل الدنيا .

يا عبد نم وأنت ترانى أتوفَّك وأنت ترانى .. تستيقظ وأنت ترانى أحشرك وأنت ترانى .

تموت يا عبد ولا يموت ذكرى لك .

يوم الموت يوم العرس يوم الخلود يوم الأنس .

يا عبد لولا صمودى ما صمدت ، ولولا دوامى ما دمت .

يا عبد الاطراق عبور الدنيا والآخرة والنظر حبس الدنيا والآخرة والمتلفت لا يصلح لى ولا يصلح لمسامرتى .

يا عبد قل فى ندم .

ربى الناظر إلىّ فكيف انظر إلى ما سواه .

يا عبد إذا تحققت بسرك لعلمت بأنك منى وأنك تلينى وكل شيء في الوجود يأتي بعدك .. لا شيء يقدر عليك إذا عرفت مقامك ولزمت مقامك .. فأنت أقوى من الأرض والسماء .. أقوى من الجنة والنار .. اقوى من الحروف والأسماء .. أقوى من كل ما بدا فى دنيا وآخرة .. ولا مستقر لك إلا عندى .. حيث لا حيث وعند لا عند .

□ □ □

وهذا أبو العتاهية يقول :

طلبت المستقر بكل أرض .

فلم أر لى بأرض مستقرا .

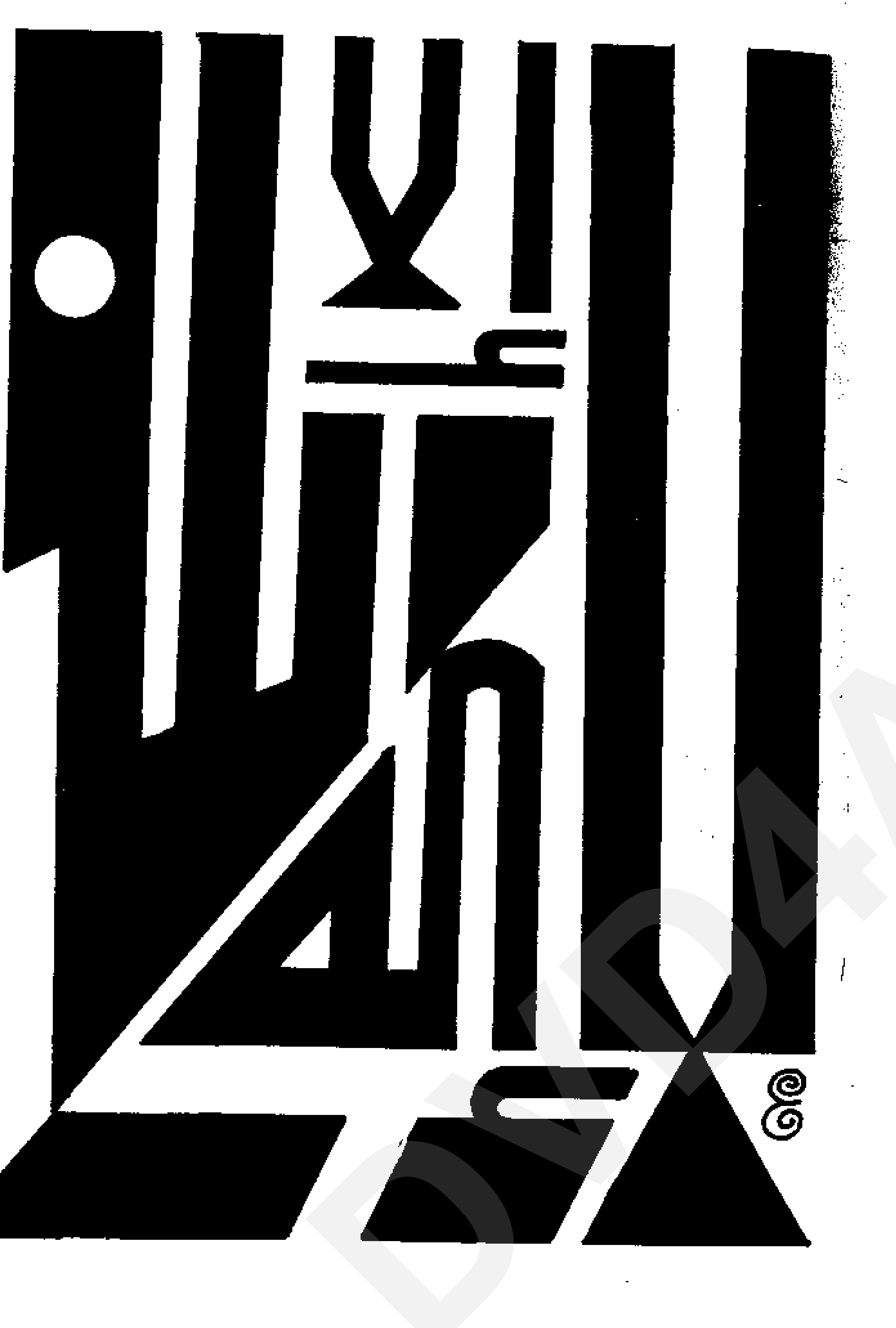
يا عبد أنا وشيء لا نجتمع .. وأنت وشيء لا تجتمع .. أنا وأنت تلك هى الغاية والمنتهى .

قل للمستوحش منى .. الوحشة منك .. أنا خير لك من كل شيء .

من عرفنى فلا عيش له إلا فى معرفتى .

* أقسمت على نفسى بنفسى ما ترك لى تارك شيئا إلا أتيته ما ترك أو أزكى مما ترك .

يا عبد خلقت لك الأشياء كلها وأنا خير لك من كل شيء لانى



صاحب الفضل فولِّ الأشياء ظهرك وولِّني وجهك .. وقل مولاى وجهني بوجهك لوجهك .

وفي الوجه الإلهي نعمة الخلود والدوام فكل شيء هالك إلا وجهه .

متى يعلم الذين يتقاتلون من مسلمين ومسيحيين ويهود وبوذيين أن كتبهم ما أتتهم إلا من واحد وأنها ما أمرتهم جميعا إلا بشيء واحد ، وأن الدين واحد . ولكن المصالح والكهانات والسلطات الزمنية هي التي غيرت وبدلت لتكون هناك فرق وطوائف ورياسات ودول تعلو بعضها على بعض .

متى يعود الشتات المختلف إلى الكلم المؤتلف ؟ .. لا إله إلا الله .

□ □ □

أليس عجيبا أن يكون الكون كله موحدا في نسيجه وبنيانه وكيميائه وقوانينه بما فيه من جماد ونبات وحيوان بما يشهد بالخالق الواحد ولا يخرج على الخط إلا الإنسان .. صاحب العقل والتمييز ؟ !! .

□ □ □

إحذر فلا تؤخذ الفتوى الا من أهل العلم الشرعى

حكاية الربا والبنوك

كثر الكلام بين الفقهاء وأهل الفتاوى عن حل وحرمة شهادات الاستثمار وودائع البنوك وسندات التنمية .. فقال البعض بالحل وقال البعض بالحرمة وكان لكل منهم حجته وأسبابه .

وانا فى الحقيقة أنظر إلى الموضوع من منظور مختلف . وأبدأ الموضوع من بدايته .. فالموضوع يدور على المال الذى يستثمره صاحبه ليربو (أى ليزداد) والكلام دائما عن الزيادة هل هى حلال أم حرام ؟ .

ولكن الواقع يا سادة .. ان المال الذى يودع فى البنوك لا يربو ولا يزداد وإنما يتآكل بالتضخم المستمر .. ونسبة هذا التضخم فى مصر هى ما بين ٢٥ ـ ٣٠ فى المائة .. وهى فى العالم كله .. حول ذلك أو أكثر أو أقل .

□ □ □

أى أنك إذا أودعت ألف جنيه فى بنك القاهرة .. ثم استرددتها بعد سنة فإن قيمتها الشرائية والفعلية (أى مقابلها الذهبى) سوف تنخفض بمقدار الربع فتستردها من البنك ٧٥٠ جنيها فقط بحساب القيمة وإن كانت فى يدك

ألفا .. فإذا تفضل عليك البنك بفوائد ١٥ ٪ مثلا فإنك ستقبضها ٩٠٠ جنيه من حيث قيمتها الفعلية .. أى بأقل مما أودعتها منذ سنة .. أى انه لا ربا فى الموضوع رغم الفوائد والزيادة الوهمية التى فى يدك .. لان المبلغ فى حقيقته لم يربُ لان قدرته الشرائية انخفضت وهذا شأن الفلوس الورق فى هذا الزمان .

وفى أيام محمد عليه الصلاة والسلام حينما نزلت الشريعة كان الناس يبيعون ويشترون بالذهب والفضة .. وهى أشياء حافظة لقيمتها .. وكان الوضع مختلفا .. وكانت الفلوس تربو عند المرابى بالفعل ولهذا انطبق عليها التحريم وصدق وصف الاستغلال .. لانها تربو وتزداد بظلم وطمع وجشع المرابى الذى لا يقرض إلا بزيادة .

والوضع الآن مختلف فالعملة ورقية يطبع منها الحاكم ما يشاء ولا يستطيع برلمان أن يحاسبه فيهبط بقيمتها إلى الحضيض وتمتلىء الأيدى بأوراق لا قيمة لها ويعيش الناس فى تضخم قاتل ويصبح ما يأخذه صاحب الوديعة من البنك بعد ضم الفائدة أقل من أصل الوديعة .. فالمال لا يربو .. ولا ربا فى واقع الأمر .. ثم ان الذى يقترض منا المال ليس هو الفقير المحتاج المأزوم وإنما هى الدولة التى تقترض المال لتستثمره فى مشاريع وأعمال وإنشاءات وإسكان ومدارس ومصانع تعود بالخير والنفع على المجتمع .. وأنت لا تقرضها ليربو مالك ويزداد . فالحقيقة انه لا يزداد بل ينقص ويتآكل رغم الفائدة ١٥ ٪ التى تأخذها من البنك .. لأن هناك نقصا فى القيمة الشرائية أصاب نقودك يبلغ ٣٥ ٪ .. أى أنك فى الحقيقة استرددت قرضك بناقص ١٠ ٪ من حيث القيمة الشرائية .. والبنك عوضك هذه الـ ٢٥ ٪ خسارة بمقدار ١٥ ٪ فائدة فأصبحت خاسرا ١٠ ٪ فقط .. فلا زيادة ولا ربا فى الموضوع .. فالمشكلة الفقهية لا وجود لها .

ومنذ سنوات وفى ندوة بمسجدنا دار بينى وبين المفتى الشيخ خاطر كلام بهذا المعنى .. فاحتد الرجل ورفع عقيرته ولوح بيديه وقال بأنى أخرج بالموضوع إلى متاهات وأن التضخم ظاهرة عارضة لا يصح أن يقام عليها حكم .. وان ما أقوله بدعة ستقودنى إلى الكفر والعياذ بالله .. ورأيت الموضوع سيتطور إلى مشاجرة ومشادة فآثرت السكوت ولم أعلق .

□ □ □

وكان ذلك منذ ١٥ سنة وكان سعر الدولار حينئذ ٦٠ قرشا والتضخم لم يكن وقتها ظاهرة عارضة كما قال الشيخ بل ظل يعمل وظل يتفاقم حتى بلغ سعر الدولار اليوم ٣٣٠ قرشا . ومعنى ذلك ان الجنيه المصرى انسحق إلى أقل من عشر قيمته .. وهو الآن ريالا سعوديا بعد أن كان ١٢ ريالا سعوديا .. والعالم سائر إلى تضخم أكثر وأكثر بسبب تزايد السكان والحروب وفساد البيئة والبطالة وهبوط الإنتاج وارتفاع سعر الطاقة .. إلخ إلخ إلخ .

إذن التضخم ليس ظاهرة عارضة كما قال الفقيه الفاضل . وكما يقول بعض الفقهاء بل هو كارثة مستمرة يجب أن ندخلها فى حساب الأحكام .. وإلا كنا نعطل عقولنا ونلقى بها إلى صناديق القمامة .. وهذا هو الحاصل بالفعل .. ان العقل الإسلامى معطل تماما وملقى به فى صندوق القمامة .. وممنوع أن يجتهد ويفكر .. وممنوع أن يتدبر وممنوع أن يتأمل .

□ □ □

والدليل على ذلك هذه الخناقة الحامية بين الفقهاء على الربا وحله وحرمته فى قضية الودائع البنكية وشهادات الاستثمار وسندات التنمية .. بينما فى الواقع لا يوجد ربا

بالمرة .. والنقود لا تربو ولا تزداد .. بل تنقص وتتآكل رغم الفوائد القليلة التى لا تزيد عن كونها تعويضا عن بعض الخسارة .. وهو كلام ينطبق على المودع وفيه إبراء لذمته لأنه لا يأخذ زيادة .. ولكنه لا يبرىء البنوك من الشبهة .. لأنها تأخذ الودائع على ذمة استثمارها ثم لا تستثمرها بل تعود فتعطيها سلفا وقروضا بفوائد أكبر تصل إلى ٢٥ ٪ وتقبض الفرق دون أن تؤدى أى عمل إيجابى ودون أن تبنى للمجتمع شيئا .. ويظل المال فى خزائنها مجرد ترانزيت لا يؤدى وظيفة سوى الإقراض والاستقراض .. ثم ان الفوائد العالية التى تقرض بها أصحاب المشاريع تؤدى إلى رفع الأسعار والتضخم .. وتعود الحلقة المفرغة للتضخم لتهبط بالقيمة الشرائية للعملة أكثر فأكثر .

□ □ □

والبدائل الأخرى امام المودعين .. هى الاتجاه إلى الريان والسعد والشريف والهدى وجماعات توظيف الأموال الإسلامية .. وقد انتهت بمودعيها إلى الكارثة التى عشناها .

وحتى البنوك الإسلامية لا تستطيع هى الأخرى أن توظف كل اموالها فلا تجد مفرا من إيداع جزء كبير من أرصدتها بفوائد فى الخارج حتى لا تتآكل بفعل التضخم .

□ □ □

والعيب هو فى النظام المالى العالمى كله الذى اخترعه اليهود ويهيمن عليه اليهود ، ويديره اليهود والشبهة الربوية تقع على النظام ككل وعلى مبدعيه ومؤسسيه .. وهى دول عظمى فى يدها الثروة والسلاح والقوة العسكرية والهيمنة السياسية .

وليس فى إمكان دول ضعيفة متسولة ان تغير هذا النظام العالمى وهى مرتبطة به بالضرورة شاءت أم أبت .. لقمتها وكسوتها وحياتها ودفاعاتها مرتبطة به .. وهى لا تستطيع أن

تستقل باقتصادها عن الاقتصاد العالمى .

□ □ □

والمودع فى آخر السلسلة ضحية .. وهو أمام ضرورة لا بديل عنها .. والضرورات فى جميع الشرائع تبيح المحظورات .

وهو يودع نقوده بنية استثمارية .. وهى نية سليمة .. ثم يقبض فوائد وهمية أقل فى قيمتها من اصل ماله .. فلا زيادة .. بل خسارة .. فهو برىء من الناحيتين .

وهذا بعض ما يقال فى هذه الغابة التى اسمها .. البنوك والفوائد .. التى كثر فيها الخلاف .. وما يقال فى هذا الخلاف يقال فى اكثر من خلاف وفى أكثر من معركة حول الشريعة .. وحول الحلال والحرام فى حياتنا .

□ □ □

وما يزال فقهاؤنا ينظرون إلى الشريعة على أنها نصوص جامدة لا يجوز التفكير فيها .. وما يزالون يرفضون اجتهاد العقل فى هذه النصوص أو أعمال الاستنباط فيها .. مع ان النبى محمد عليه الصلاة والسلام أعطانا المثال فى سنوات الحرب وكذلك خليفته عمر بن الخطاب فى سنوات المجاعة فلم يقطع النبى عليه الصلاة والسلام يد السارق فى الحرب ، ولم يقطع عمر بن الخطاب يد السارق فى عام المجاعة .. رغم ان آية القطع جاءت فى القرآن مطلقة بلا استثناء .

ولكن العقل والحكمة والرحمة .. كانت الأسباب التى أدت بالنبى عليه الصلاة والسلام أن يمتنع عن القطع فى وقت الحروب لأن القطع كان سيؤدى إلى زيادة فى المنكر بفرار المسلم إلى المعسكر الآخر ، وكذلك فى عام المجاعة كان القطع سيكون زيادة فى الظلم .

ولذلك قال العز ابن عبد السلام كلمته الشهيرة : إذا كان تطبيق الحدود سيؤدى إلى زيادة فى المنكر فالأولى بنا أن

نكتفى بالعقوبات التعزيرية الموجودة .

□ □ □

واصبح هناك باب كبير فى الفقه اسمه « شيوع البلوى » له أحكامه .. فحينما تشيع الفتن وتفسد الذمم ويصبح شراء شهود الزور على أبواب المحاكم أسهل من شراء حفنة أرز .. ويصبح تجريم الأبرياء بشهادة هؤلاء وقطع الأيدى ورجم الحرائر أمرا سهلا ميسورا .. مادام شهود الزور على استعداد لقول أى شيء .. فإن الشريعة نفسها يمكن أن تتحول فى أيدى هؤلاء السفلة إلى أداة ظلم بشعة .. ويجب حينئذ الاحتراز من تطبيق الحدود .. فما أراد الشارع سبحانه وتعالى بشريعته إلا أن تكون إصلاحا .. لم يرد بها أن تكون ذريعة استبداد فى يد السفلة .

□ □ □

وقد بدأنا الدخول فى هذا العصر يا سادة .. عصر صدام وعصر الطغيان .. عصر الفتن المضلة والأكاذيب المطلية بالمبادىء .. والذمم المشتراة بسبائك الذهب .. وذمم من ؟ .. ذمم ملوك ورؤساء وقادة وحكام وفقهاء وكتاب .

وفى هذا العصر الملتوى المشبوه يلزم أن يصحو العقل ويأخذ عصا القيادة ويلزم أن تتفتح العيون وتنتبه الحواس وتتيقظ الضمائر .. ونخرج من حالة التحجر والتعصب والانغلاق السلفى على النصوص والتورع عن التفكير .

اقول لابد من ثورة عقلية كاملة تعيد للإسلام نضارته وبهاءه وتنقذنا من هذا التخشب والتحجر والتجمد والموات .

العقل والعلم والعمل .. ثلاثة فرسان لابد أن يدخلوا الساحة ويملأوا الفجوة التى أحدثتها قرون الجهل والتخلف بالإسلام .

إن الإسلام دين عقل ودين علم .. ودين عمل .

□ □ □

وقد جعلنا منه دين تقليد ودين جهل ودين كسل .. وعشنا على النقول وعلى كتب قديمة صفراء كانت لها ظروفها .. وكانت فى زمانها اجتهادات وابتكارات .. ولكنها الآن .. لا تصلح لأكثر من مؤشر .. ولأكثر من تاريخ .

أين نحن .

وأين عصرنا .

وأين عطاؤنا .

وهل اكتشفنا الجديد الذى يقوله القرآن لهذا العصر .

وهل تحديات عصر الفضاء والأقمار الصناعية .. والهندسية الوراثية .. والكومبيتور .. وثورة الاتصالات .. والإنسان الآلى وأسلحة الدمار الشامل .. والمخدرات .. تجد ما يقابلها من اجتهاد علماء الدين وفقهاء القرآن .. وهل نظم المال والاقتصاد والسياسة والديموقراطية لها ما يقابلها من اجتهاد المسلمين .

□ □ □

وهل كان من الإسلام فى فترة تدفق أموال النفط وارتفاع سعر البرميل من ٤ دولارات إلى ٤٢ دولارا ببركة حرب ١٩٧٣ التى خاضتها مصر أن يتحول هذا الثراء المفاجىء فى دول النفط العربية إلى ترف معمارى وانفاق استهلاكى رهيب فى الوقت الذى تحولت فيه مصر بسبب المعاناة الاقتصادية إلى زحام بلا مرافق وطلبة بلا جامعات وتكدس بلا إسكان وديون بلا حد .. اين هو مفهوم الأمة الإسلامية ؟ .

□ □ □

ورغم هذا الترف ورغم تلك الجامعات الشاهقة على البر العربى ، فقد كان الوعى الإسلامى يتراجع إلى الوراء .. وأيامها جاءتنا الفتوى من عالم إسلامى كبير ساعة نزول الرواد الأمريكيين على سطح القمر .. بأن ما حدث هو أكاذيب كفار .. فلا أحد يمكن أن ينزل على القمر .. وأن الأرض لا يمكن

ان تدور .. والذى يقول بدورانها كافر .. قال بهذه الفتوى عالم كبير ومفتٍ عظيم .

وأقل ما توصف به تلك الفتوى انها انقلاب .. ولكن إلى الخلف .. نكسة إلى ما وراء العصر الحجرى .

لقد فتح الشيخ محمد الغزالى الباب بكتبه الأخيرة لثورة العقل ولإعادة النظر وتقليب الفكر فى هذا التراث الذى نوشك ان نجعل منه مدفنا وقبرا لأعظم ديانة جاءت بها السماء .. وحسنا فعل .. وبارك الله فيه .

ولكنا فى حاجة إلى كتيبة من الثوار وإلى طوفان من الكتب .. وإلى حناجر تصرخ وإلى طاقة تفجيرية فكرية تقوم بتثوير وإيقاظ المؤسسة الدينية من سباتها لتخرج منها براعم فكر جديدة وأزاهير نضرة وأشجار باسقة وعلماء مجددين .

لقد طال النوم .. حتى كاد يصبح موتا .

وما عدنا نسمع عن الجديد فى إسلامنا إلا من أجانب .. مثل جارودى الفرنسى وهوفمان الألمانى (مراد ولفريد) وليوبولدفايس اليهودى الذى أسلم باسم محمد أسد وموريس بوكاى جراح باريس الشهير .. ومن إسماعيلوفتش اليوغوسلافى رحمة الله عليه .

ومن الجزائر مالك ابن نبى وقد مات هو الآخر .

فأين باقى كتيبتنا .. الزندانى .. ومهدى بن عبود .. والشعراوى . ويس رشدى .. أطال الله فى عمرهم .

نريدها ثورة عقلية تقلب الأرض القديمة وتحرثها فكرا .

لا نريد مجرد ترديد النقول .. وتسميع المحفوظات .

ان معجزة الإسلام فى ديناميكيته وقدرته الباطنة على التطور الخلاق والتلاؤم المستمر مع المتغيرات وسبق الظروف .

□ □ □

نريد عقولا تقتحم قلب المشكلة .. وليس أطرافها وحواشيها .

ان أكبر الحرام الا نفكر وألا نعمل وألا نتعلم . أما هذا الذى يميل عليك بهمس مرتجف ليسأل : هل تحية العلم فى الجيش .. حرام .. هل هى وثنية ؟ .

هل تعليق صورة على الحائط حرام ؟ .

هل الزهور البلاستيك حرام لانها تقليد لصنعة الله ؟ .

هل الخل حرام لانه يأت من التخمير ؟ .

هل يجوز وضع الكحول على الجروح أم هو حرام لانه خمر ؟ .

هل الوضوء إلى الكوع أم لابد أن يشمل الكوع ؟ .

هل تمثال طلعت حرب فى ميدان سليمان باشا حرام ؟ .

هل القمصان النيلون مكروهة للرجال ؟ .

هل الموسيقى حرام ؟ .

هل الاستماع إلى أم كلثوم حرام ؟ .

هل نضع اليدين على الصدر اثناء الصلاة أم نرسلهما ؟ .

وماذا لو كانت للمصلى ذراع واحدة ؟ .

وماذا عن العطور والمانيكير ؟ .

وهل يكفى الحجاب أم يلزم النقاب ؟ .

وما طول الجلباب الشرعى حتى نكون مع السنة ؟ .

وما شروط إرسال اللحية وما مواصفاتها المطلوبة فى السنة ؟ .

□ □ □

وينسى هؤلاء وأولئك ان السنة النبوية هي أولا خلق وسلوك وتقوى .. ولم يكن أحد يلتفت إلى لحية النبي عليه الصلاة والسلام أيام البعثة . فقد كان أبو جهل له لحية وأبو لهب له لحية والكل لهم لحى .. ولم تكن اللحى تعني شيئا .. وحينما احتكموا إلى محمد عليه الصلاة والسلام في من يرفع الحجر الأسود .. كان أول ما قالوه حينما رأوه مقبلا .. أن قالوا .. جاء الأمين جاء محمد .. لم ير أحد منهم لحيته وإنما الشيء اللافت والمميز كان أمانته .. كانت هذه حلية الرجل .. وبهذا عرفوه .

□ □ □

وهكذا كان يعرف الرجال وهكذا كانوا يتميزون .. بأمانتهم وخلقهم لا بلحاهم وشواربهم وهذا هو مدار السنة وجوهر السيرة وروح الدين .

ففيم الضياع في كل هذه المظاهر والهوامش والتفاصيل والأمور الثانوية والأسئلة الجانبية والقضايا الخلافية .. بينما الحق مهجور والخلق منكور والعقل مغمى عليه .. تماما كما حدث من قديم حينما اختلف القوم .. ورفعوا اختلافهم إلى المفتي سائلين .. هل دم البرغوت ينجس أم لا يا سيدنا .

فقال الرجل في استنكار : تقولون هذا وأيديكم ملوثة بدم الحسين .. قاتلكم الله .. ونحن مازلنا في هذا الدرك من التخلف .. والتفاهة العقلية .. نتشاجر على صغائر ونختلف على شكليات .. بينما لب الدين نفسه مهجور وقضية الأخلاق لا ذكر لها .. والاقتصاد الذي تدور حوله رحى المجتمع ويعتمد عليه رخاء الناس وأرزاقهم لا نعلم عنه شيئا .

إلى متى نظل سادرين في هذه التفاهة ؟ .

وإلى متى نظل غائبين عن الحقيقة الكبرى التي إسمها الإسلام ؟ .

وإلى متى يظل إسلامنا نصوصا بلا فكر وتقليدا بلا تدبر ؟ .

وكما يقول الشيخ الغزالي : تنظر إلى المسلم فتراه من فانلته إلى قميصه إلى بذلته مستوردا وترى القلم في يده صناعة ألمانية والتليفزيون صناعة يابانية والراديو صناعة كورية والتكييف صناعة انجليزية حتى الجلباب من هونج كونج والطاقية من الصين والساعة من سويسرا والنظارة أمريكية والحذاء إيطالي والسبحة اندونيسية والخادمة فيليبينية والمربية سيرلانكية .

وتعجب لحاله .. فلم يبق فيه شيء يدل على هويته .. شيء واحد صنعته يداه .

□ □ □

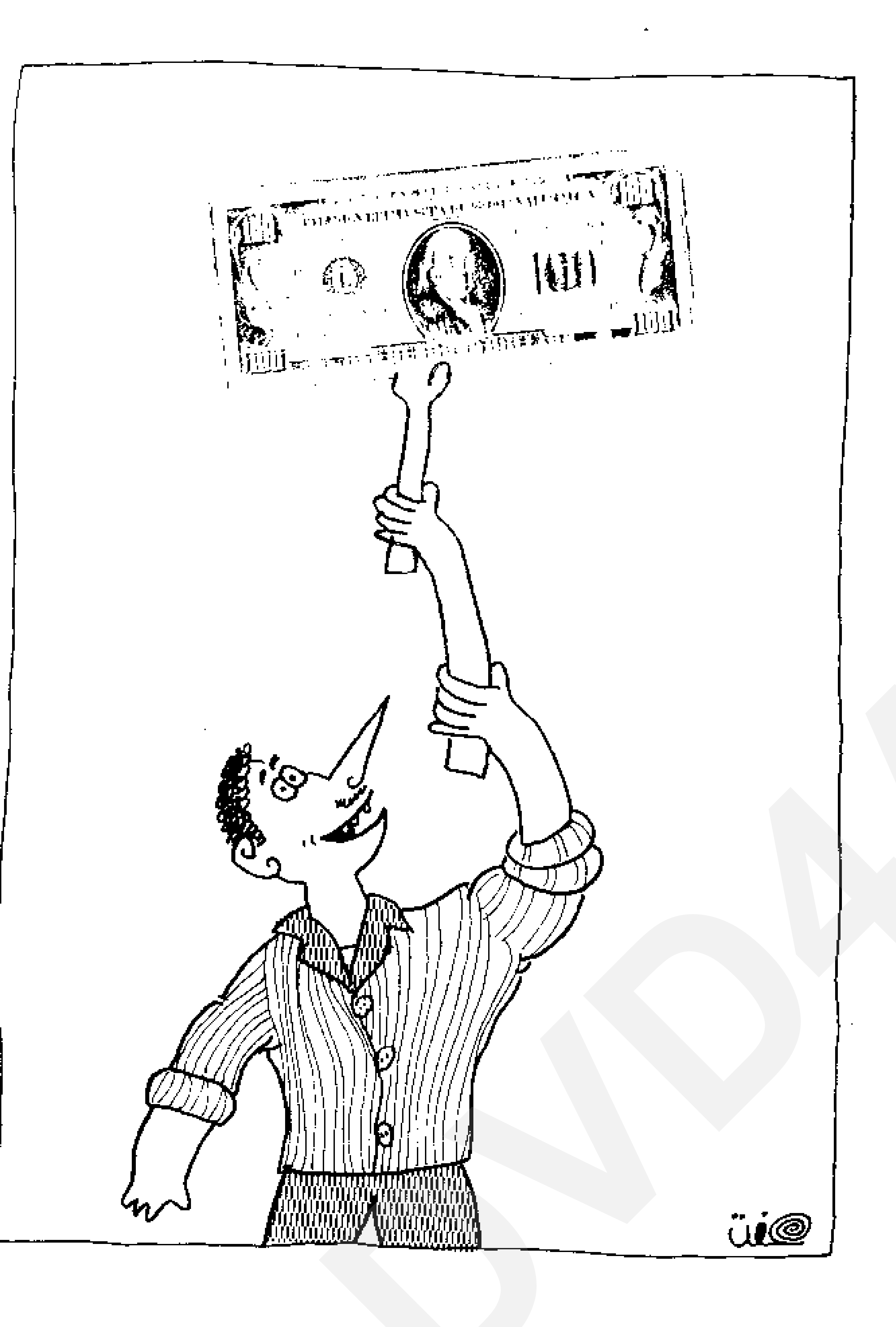
وإذا كان عالمنا كله أصبح صناعة أجنبية .. والجزء الهزيل الذي تبقى لنا .. وهو لغتنا العربية جعلنا منها وسيلة خلاف وشقاق وتكفير .. كل واحد يحاول أن يخرج الآخر من الملة لانه يقول كلاما مختلفا .. فإلى أي حضيض وصلنا .. قلوبنا أصبحت شتى .. وبأسنا بيننا شديد .. ومجموعنا لا شيء .

فمتى نهتدي إلى لب الأمر وجوهر الموضوع .. ونفهم أن الدين علم وعمل ومكارم أخلاق وأن الاجتهاد لا يضر بالدين ولكن يزيد خصوبته وأن الاختلاف هو أساس غنى المجتمعات إذا ترجم إلى أفكار وأعمال .

□ □ □

والحضارة كلها كانت عطاء ناس مختلفين .. ولكنهم عرفوا كيف يختلفون ليعطوا وليكملوا لا ليهدموا بعضهم البعض .

وكنا نقرأ تفاسير القرآن في الكتب القديمة فنرى للصفحة ثلاثة هوامش وفي كل هامش تفسير مختلف للآية .. دون أن يطعن الواحد في ذمة الآخر أو يكفره .



فمتى تعود هذه الصولة الفكرية والصحوة العقلية .. لدين معجزته الأولى عقلانية ؟ ! .. فلم يعط الله نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام عصا يشق بها البحر .. وإنما أعطاه حجة وبيانا ومنطقا يبهر العقول .

□ □ □

ملوك السيرك

الذين شاهدوا معنا أوليمبياد سول والأرقام القياسية المذهلة التى سجلها أبطال القفز والجرى والسباحة والغطس والملاكمة والمصارعة والكاراتيه والمهارات الخرافية لبنات الست عشرة سنة في اللعب على العقلة والمتوازيين والحصان الخشبى والمعجزات الباهرة فى فن التدريب والتمرين والمثابرة .

كنا نشعر ونحن نتفرج أن وراء كل ميدالية ذهبية مؤسسة ودولة وخبرة ألف عام .

ولكن لا أحد منا حاول أن يخرج إلى سيرك الطبيعة المفتوح .. لا أحد حاول أن يسافر إلى غابات الأمازون وأدغال مدغشقر وأحراش أوغندا ومراعى السفانا الاستوائية ليشاهد ماذا تصنع الحيوانات البدائية فى ملعبها الطبيعى بدون تدريب وبدون مؤسسات وبدون نواد رياضية تنفق الملايين .

□ □ □

ان اسرع عداء بين البشر لا تتجاوز سرعته ٣٢ ميل ساعة .

فهل تعلم بأى سرعة تجرى الغزالة ـ ٤٤ ميل ساعة .

والنعامة ٥٠ ميل ساعة .

والفهد ٧١ ميل ساعة .

وتستطيع الغزالة فى ذروة سرعتها أن تغير اتجاهها فجأة إلى العكس بشكل يربك أعنف المطاردين وتستطيع أن تنظم تنفسها طوال الوقت فى انسياب هادىء وكأنها تمشى بينما يلهث الأسد ولا يستطيع المواصلة فيستسلم يائسا بعد دقائق .

أما البرغوث فيستطيع فى قفزة واحدة أن يبلغ ارتفاعا مقداره ١٣٣ مرة قدر طوله أى بما يماثل إنسانا يقفز إلى ارتفاع كاتدرائية فى قفزة واحدة .

□ □ □

اما إطلاق الرصاص فإن السمكة ذات المدفع تتقنه على طريقتها .. فإن عندها مدفع مائى تستطيع أن تطلق به سلسولا من تحت سطح الماء يندفع بارتفاع خمسة عشر قدما ويسقط حشرة من على شاطىء البامبو .. وبرشاقة عجيبة ونشان متقن تسقط الحشرة فى فم السمكة فتأكلها .

اما الغطس فإن الرقم الأوليمبى الحالى لأمهر غطاس هو ثلاث دقائق واربعون ثانية على عمق مائة متر .. فماذا تظن أرقام اخواننا الحيوانات .

طائر البنجوين ١٥ دقيقة على عمق ٢٦٠ مترا .

كلب البحر ٤٠ دقيقة على عمق ٣٠٠ متر .

الحـــوت ٨٠ دقيقة على عمق ٢٢٥٠ مترا .

واطول سباحة للإنسان فى البحر ١٢٠ ميلا .

بينما الحوت يسبح ثلاثة آلاف ميل بطول الساحل الأمريكى كروتين نزهة عادية .

ويستطيع سمك السالمون أن يصعد فى الشلال ضد التيار بسرعة ١٦ ميل ساعة .

ويستطيع السمك الطيار أن يطير لمسافة خمسمائة قدم فوق سطح الموج .

□ □ □

اما الطيور فلها سجل باهر من الأرقام القياسية .

النسر يرتفع إلى ستة آلاف قدم .

والصقر يطير بسرعة ستين ميل ساعة .

وطائر (PRINCE OF FALCONS) يطير بسرعة ٨٢ ميل ساعة .

وطائر الالاباتروس عبقرى فن الانزلاق الشراعى فى الهواء .. يستطيع أن يتوقف أثناء الطيران فى رشاقة بديعة جذابة بدون آلات وبدون هليكوبتر .

أما أصغر الطيور (GREENLAND WHEETIA) فإنه يطير من أقصى الشمال فى جرينلاند عبر البحر إلى البرتغال جنوبا ٢٠٠٠ ميل طيران .

وأعجب منه الطائر القطبى الذى يبدأ رحلته من كندا ليعبر المحيط ثم يطير بحذاء الشاطىء الأفريقى إلى رأس الرجاء الصالح ثم يعبر البحر جنوبا إلى القارة القطبية الجنوبية ثم يطير حول القارة القطبية دورة كاملة ليعود فيندفع شمالا فى رحلة العودة إلى كندا .. أربعين ألف ميل .. رحلة خرافية لا تصدق فى ٢٣ شهر طيران يقطع فيها مسافة تساوى دورة كاملة حول العالم .. بدون خزانات وقود .

أما طائر (OXFORD SWIFT) فهو يطير من انجلترا إلى أسبانيا ويصل مدريد فى أقل من ثلاثة أيام .. ومجموع ساعات طيرانه خلال عمره القصير ثلاث سنوات يقضيها كلها فى الهواء .

□ □ □

واعجب الكل ماراثون الفراشات حيث تعبر مجموعات (MONARK BUTTERFLY) المحيط بحذاء شاطىء كاليفورنيا فى ثلاثة أيام طيران متواصل بدون طعام بسرعة ١١ ميل ساعة واثناء هذه الهجرة شمالا ثم العودة يهلك منها المئات ويتساقط فى البحر .

وأخيرا بهلوان البهاليل وأراجوز الأراجوزات .. القرد .. عبقرى القفز والنط والشقلبة .

التلقائية المذهلة .. والتمكن .. والأستاذية .. والشياكة فى الحركة .. بدون مدرب وبدون معلم وبدون معاهد وبدون نواد .

معجزة خلاق عظيم .. وصنعة إلهية ليس كمثلها أى صنعة .

لا شك ان الطبيعة مسرح عظيم يهتف فيه كل الممثلون فى كل لحظة .

بديع السموات والأرض .. جلت قدرته عن النظير والشبيه .. سبحانه ليس كمثله شىء .. فى أى شىء .

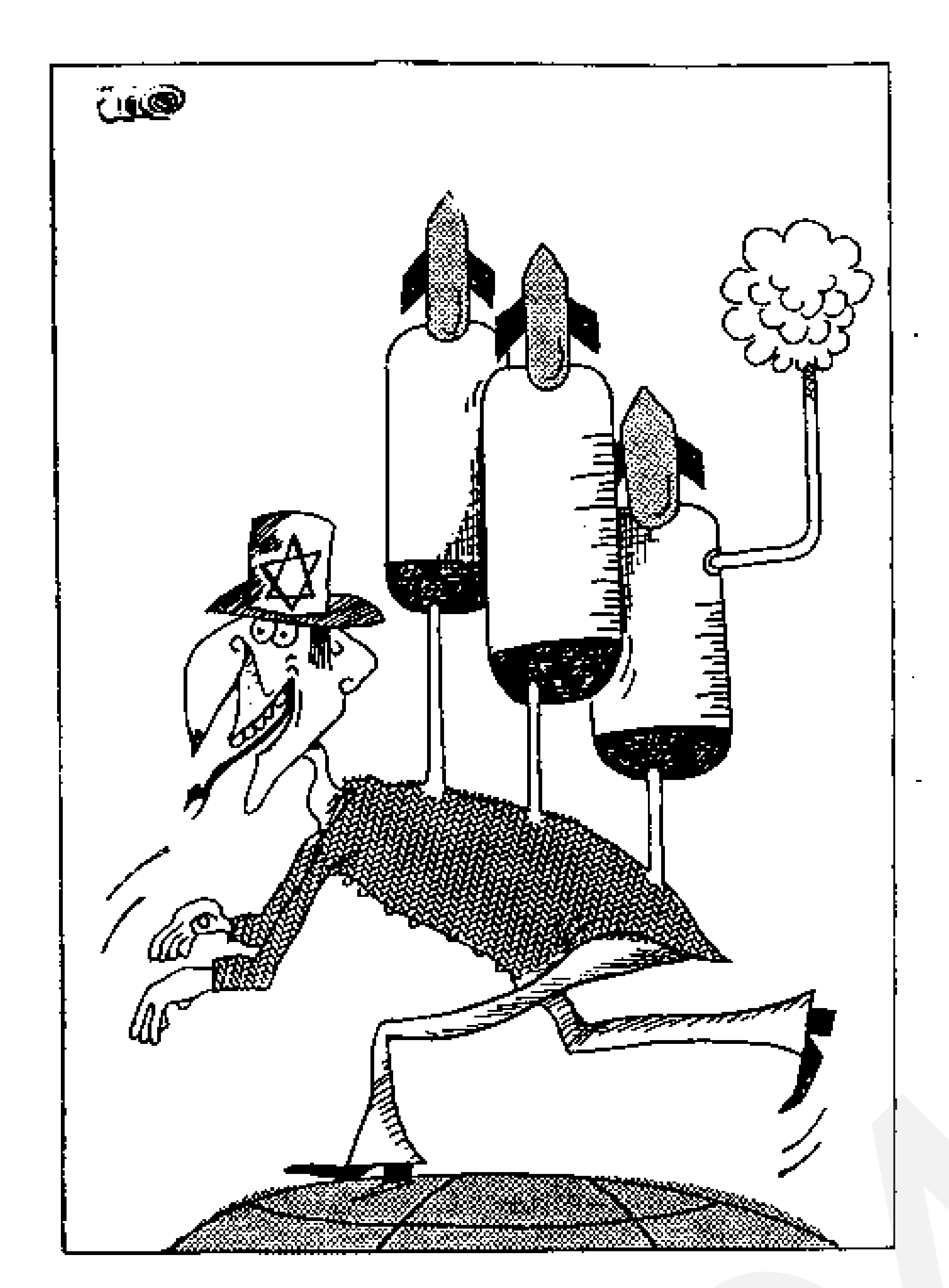
وإذا كنا صنعنا واخترعنا واستعرضنا نحن أيضا فبما أعطانا الله من عقل وبما ميزنا من حيله .

انه هو .. ما زال العرض عرضه .. والإبهار إبهاره .. والإعجاز إعجازه .

□ □ □

فكيف نغفل عن هذا كله ونحن نضع الميداليات الذهبية على صدورنا ونمشى بها أمام الكاميرات مختالين .. وقد نسى الواحد منا كل شىء إلا أنه بطل .. بل انه البطل الأوحد .

□ □ □



والسيرك السياسى

وفى الساحة السياسية حولنا وباتساع رقعة العالم نجد سيركا من نوع آخر لا تقل فيه أنواع الشقلبة والجرى والقفز والغطس عما يفعله القرود والنسانيس فى الغابة .. لكن ملوك السيرك هنا أسماء لها وقار وشخصيات لها تاريخ وقادة لهم سلطان وحكم ونفوذ .. ورغم ذلك فإن ما يفعله الواحد منهم .. رغم الهالات الاعلامية .. لا يمكن أن يفهم إلا بانه شقلبة .

□ □ □

شامير يتكلم عن الإرهاب الفلسطيني ويرفض أن يلوث يديه بمصافحة الفلسطينيين والجلوس معهم في الوقت الذى يقتل فيه أطفالا دون العاشرة بالرصاص ويهدم البيوت بالبلدوزرات ويدك القرى بالطائرات ويسقط القنابل على لبنان لتقتل عشوائيا الشيوخ والأطفال والنساء الحوامل .

وأمريكا فى مجلس الأمن تندد بالقهر السياسى للشعوب وترفع شعارات مؤسسة العفو الدولية ، فإذا صدر احتجاج بالإجماع على ما تصنعه إسرائيل من قتل ونسف وتدمير .. قالت لا .. ورفعت كارت الفيتو .. وكأن الدم الذى تريقه إسرائيل مياها فى بالوعة وليست دماء بشرية .

□ □ □

وهونيكر فى ألمانيا الشرقية يحول دولته الأوربية إلى سجن غليظ قبيح بقضبان من البيروقراطية المتحجرة ، فإذا هرب الشباب بالألوف عبر المجر والنمسا إلى ألمانيا الغربية بحثا عن الحرية والفرص والعمل تعالت صرخاته متهما المجر بخيانة حلف وارسو وبالتآمر مع الامبريالية .. وبالميول البورجوازية .. وبالانحلال الرأسمالى .. إلى آخر القائمة التى نسمعها من اخواننا اليساريين المحترفين فى بلادنا .. بل ونقرأ لأحد هؤلاء اليسارين فى عموده الصحفى : ان الشباب الألمانى الهارب من ألمانيا الشرقية هو شباب خائن لوطنه .. ولا أفهم ما هية هذه الخيانة .. فالشباب موضوع التهمة مهاجر من ألمانيا لألمانيا .. بل وغالبا لأهله واخوته وأعمامه واخواله .. فأين الخيانة ؟ .. وما هو الوطن موضوع الخيانة ؟ .

كلام انتهى الآن .. وقصة انتهت واصبحت نكتة .. واتحدت ألمانيا الشرقية والغربية .. وهرب هونيكر إلى روسيا .. وأصبحت الدنيا غير الدنيا فى هذا السيرك الدوار الذى لا تنتهى مشاهده .

وصاحبنا اليسارى معذور . فالمشهد مثير وهو لا يقل عن فضيحة وإدانة للمذهب كله وشتمة بليغة لكل ما هو يسارى ماركسى واتهام لا يوجد له رد والمشهد مضحك لدرجة البكاء .

□ □ □

وأعجب ما جاء فى تعليق صاحبنا انه اتهم الشباب الألمانى بعدم الوطنية مع ان كلمة الوطنية فى القاموس الشيوعى كلمة مرفوضة .

الوطنية عند كارل ماركس رجعية وتخلف .. لان الوطن الحقيقى ليس هو هذا البلد أو ذاك ولا هذه الدولة أو تلك وإنما هو دولة واحدة فقط وهى الدولة الشيوعية الأم .. ولا ولاء إلا لهذه الدولة الام .

ولهذا يتكلمون عن الأممية .. وعن ولاء واحد نحو الكرملين .. الكعبة الوحيدة للاخاء الإنسانى .. (وقد سقطت هذه الكعبة الآن ولم يبق لها من الحراس إلا كاسترو) .

اذكر ان آخر مناحة ارتفعت فيها أصوات الأعمدة اليسارية كانت حكاية بيع فندق سان ستيفانو فى الاسكندرية .

□ □ □

وحينذاك تجاوبت الصرخات وتعالت الاحتجاجات وسمعنا الشعارات المألوفة .. عن تصفية الاشتراكية .. والثورة المضادة .. والاتجاهات الامبريالية .. وبيع القطاع العام .

ونجحت هذه الصرخات فى تخويف وزارة السياحة وكف يدها عن المضى فى هذا المشروع المنطقى والعاقل والطبيعى جدا .

والنتيجة ان سان ستيفانو مازال خرابة .. وسوف يظل خرابة .. لانهم يريدون كل شىء خرابة .. لان الخراب هو البيئة الوحيدة التى ينتعش فيها حقد الفقراء ويشتعل الصراع الطبقى .

□ □ □

والحقد كما يقول تروتسكى وبنص كلماته : هو الرافعة التى تحرك التاريخ .

وتروتسكى نسى أن يكمل عبارته .. فالحقد بالفعل رافعة تحرك التاريخ ولكنها تحركه إلى الوراء وإلى الأسفل .. وإلى بدروم الغرائز والأطماع التى يأكل بعضها بعضا بدون أمل وبدون جدوى .

□ □ □

وكارل ماركس نفسه ولا جدال أحد ملوك السيرك السياسى وهو صاحب مهارات فى اللعب بالمنطق والشقلبة على حبال الأفكار ، ولكن العابه الذكية قد انكشفت الآن وظهر للعيان أنها كانت شقلبات قردية ماهرة .. مع فارق .. أن القرود فى الغابة حينما تتشقلب فإنها لا تكذب .. ولا تقول لنا انها تتفلسف وتقدم لنا علوما ومذاهب .. وإنما هى مخلوقات صادقة وبريئة ولا تقول اكثر من أنها تلعب وتمرح وتمزح وتفرح .

□ □ □

اما اصحابنا ملوك السيرك السياسى الذين يرتدون مسوح الكهان ويمسكون بصولجانات الحكم ويضعون على رؤوسهم تيجان المعرفة ويتصدرون منصات الزعامة فإنهم يقولون كلاما آخر شديد الوقار عن العدل والحرية والكرامة والجماهير والشعوب وحركة التاريخ ولكنهم بالفعل يكذبون ويتشقلبون وينصبون فخاخا محكمة من الظلم والاستبداد يفتحون بها السجون للملايين .. لتستقبل الوف الضحايا كل يوم .

ووراء كل بهلوان كبير بهلوانات صغار يرقصها على الصفحات ويضع فى افواهها الكلمات .

ولكل سيرك فى كل دولة فروع ولكل فرع مكاتب ولكل مكاتب سدنة .

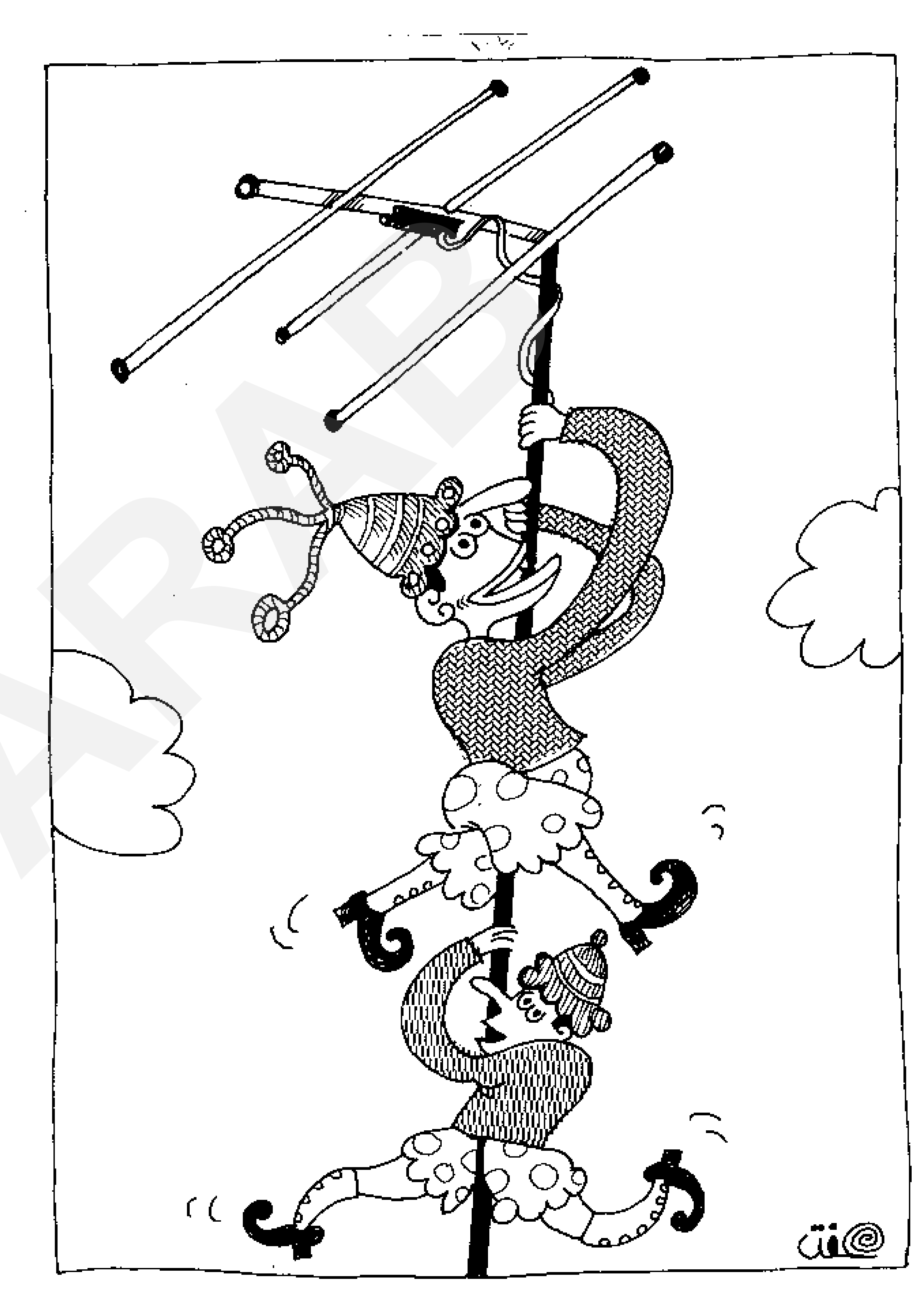
جاء من امستردام بهولندا انهم يبنون دورات مياه للكلاب

فى كل دورة سيفون وتتكلف الدورة الواحدة خمسة آلاف دولار .

وجاء من بكين ان المحاكم الصينية أعدمت اثنين من الصينيين اختطفا وباعا ٢٤ امرأة ولم يذكر الخبر بكم كانت تباع الواحدة .

هل هناك سيرك أعجب من هذا .. ؟ !!

□ □ □



جرائم آخر الزمان

حينما وصلت لندن منذ أسابيع كان حديث الناس وموضوعات الصفحات الأولى في الجرائد عن السفاح الأمريكي جيفرى دامر الذى قتل سبع عشرة ضحية كلهم من السود والملونين وأكل أجزاء من أجسامهم .. وانفردت الديلى ميل بتفاصيل ودقائق عن آخر ضحية .. الجريمة رقم ١٧ .. والقتيل فيها أسيوى من لاوس عمره ١٤ سنة اسمه كونراك سنتاسومفون .. وأمكن العثور على تسجيلات لبلاغات وشكاوى من الجيران خاصة بالحادث .

□ □ □

أحد تلك التسجيلات لامرأة تطلب النجدة من البوليس وتقول انها رأت صبيا عريانا فى حالة سكر بين وعلى جسمه آثار ضرب يخرج من شقة جيفرى دامر .. والبلاغ الثانى كان لامرأة أخرى من الجيران تقول انها رأت الصبى العريان يخرج من الشقة وعلى جسمه آثار دماء وتعتقد أنه كان ضحية اغتصاب وتطلب التحقيق فى الأمر .

□ □ □

وكان تقرير رجال الشرطة الثلاثة الذين نهضوا للتحقيق .. انهم عثروا على الولد الأسيوى مغمى عليه فاقدا للنطق وعلى جسمه آثار دماء .. ولما استجوبوا صاحب الشقة جيفرى دامر .. قال انها مجرد مشاجرة بين عشاق .. وان هذا أمر عادى بين الشواذ .. وصدق رجال الشرطة كلام دامر وأعادوا الولد إليه .. وانصرفوا .. وأغلقوا المحضر .

ولما عادت المرأة تسأل وتستفسر .. قال لها الشرطى : انها حوادث عادية تحدث بين الأحباء من الشواذ .. ونحن لا نستطيع أن نتدخل فى الذوق الجنسى لبعض الناس .

فقالت المرأة : أنا لا أستفسر عن هذا .. ولكن سؤالى عن الولد .. فأنا أخشى أن يكون طفلا .. فطمأنها الشرطى بأنه ليس طفلا وإنما مراهق بالغ .. ونصحها بألا تقلق بالها بمثل هذه المسائل .. ففى أمثال تلك الحالات يكون ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب .. واللوم فى النهاية للأسف يقع على البوليس الذى لا يرى فيه الاثنان إلا العزول المتطفل الذى يتدخل فيما لا يعنيه .

وكان هذا هو آخر قتيل .

واعترف السفاح انه هو الذى أعطى المخدر للولد .. وانه كان يخدر ضحاياه قبل الاغتصاب والقتل .

وقد أوقف رجال الشرطة الثلاثة وأعيد التحقيق معهم .

□ □ □

ولكن ما أثار انتباهى ولفت نظرى هى تلك اللامبالاة من شرطة الأمن فى أمريكا بمثل تلك المشاهد المستفزة من الشواذ .. وأكثر من ذلك تطوع الشرطة لإعادة الولد إلى صاحبه (وهو مغمى عليه من الضرب) وإغلاق المحضر .

□ □ □

وصحيح ان القانون فى أمريكا لا يتدخل فى الاختيار الجنسى للناس .. وينظر إلى الشذوذ باعتباره أمرا يخص صاحبه .. وانه حق من حقوقه .. وان الناس أحرار فى أذواقهم (هكذا يقول القانون الأمريكى)

ولكن هل ماتت الشهامة أيضا وماتت النجدة .. وهل أصبح التلذذ بالضرب حقا آخر يحميه القانون .

□ □ □

وأغلقت الصحيفة ورحت انظر فى السقف وغرقت فى التفكير بينما راحت يدى تعبث فى راديو الترانزستور الصغير الذى لا يفارقنى .. وتوقفت يدى عند أحدى المحطات الإذاعية وكانت محطة أخرى فى انجلترا .. وكانت المتحدثة تشكو للمذيع من حالة عدم المبالاة عند الناس وتروى له حادثة بشعة حضرتها وشاهدتها بنفسها فى أتوبيس مشئوم صادف أن صعدت إليه فى مشوار العودة اليومية إلى بيتها وكانت الساعة متأخرة من الليل .. وفى الأتوبيس أكثر من عشرة ركاب بينهم فتاة وسيمة بها مسحة جمال .. ثم كانت المفاجأة التى ألجمت الأفواه فقد صعد إلى الأتوبيس رجل ضخم الجثة .. ما أن رمق الفتاة .. حتى أخذ يحدق فيها بحيوانية واشتهاء ثم فجأة هجم عليها وخلع عنها ثيابها وهى تصرخ وتولول وتصيح وتستنجد .. وألقى المجرم نظرات تلمع بالشرر إلى الموجودين حوله .. ثم احتضن ضحيته فى شراسة وراح يباشر معها بغيته .

قالت المرأة : ونظرت إلى الركاب حولى .. فرأيت بعضهم قد تشاغل بالنظر إلى الصحيفة بينما فتح آخر كتابا يتلهى فيه بينما ألقى ثالث ببصره إلى النافذة وأسرع رابع بالهبوط من الأتوبيس لينجو بنفسه .

وصرخت فيهم .. أليس فيكم رجل شهم يهب إلى نجدة المسكينة التى تبكى وتولول .. ولم أسمع إجابة من احد ..

وتكومت فى مكانى من الخزى وانا أبكى من الغيظ .. وانتهى الرجل مع فعلته القذرة .

وأسرع يهبط من الأتوبيس قفزا .

وأردفت المرأة بصوت مرتجف تقول للمذيع :

— سيدى .. ماذا جرى فى الدنيا .. ماذا حدث لنا .. اننى أكلمك وأريد أن يبلغ صوتى وصراخى كل مسئول فى هذا البلد العريق .. انجلترا .. ما هذه اللامبالاه .. ما هذه السلبية .. ما هذا البرود أمام جرائم خلقية لو حدثت فى الماضى لقامت بسببها حروب .

هل هذه إحدى علامات التقدم .. أم انها إحدى ظواهر التطور فى مجتمع العلم والتكنولوجيا الجديد ؟! .

□ □ □

وأغلقت الراديو الصغير وقد وقع بصرى على مانشيت أحمر كبير آخر فى الصحيفة بيدى .. سفاح أمريكى فى السابعة من عمره .. ثم سطور بالبنط الأسود تروى حكاية الطفل جون جيلبرت من نبراسكا الذى قتل مربيته بسكين وهو فى السابعة ولما أفرج عنه لصغر سنه قتل ثلاثة من زملائه فى المدرسة بنفس الأسلوب ثم بعد سنوات قتل ثلاثة لاعبين فى قاعة للألعاب الرياضية وأخفى جثثهم .

ثم خبر آخر فى مربع صغير عن المدعو دافيد إيفانز ٣٤ سنة من لويزيانا من سلاح مشاة البحرية الأمريكية اغتصب وقتل طفلة فى العاشرة ثم اعترف انه قتل أكثر من ستين من النساء والغانيات وقام بدفن جثثهن وأبلغ عن استعداده للدلالة على أماكن دفنهن .

□ □ □

ثم ثلاث صفحات بالصور عن السفاحة الأمريكية هيلينا وعشيقتها تيريا .. وكيف كانت تخلع عارية فى بار من البارات الرخيصة فى فلوريدا لتجذب الزبون ثم تستدرجه إلى الغابة القريبة وتقتله وتسرق ما معه من نقود .. وبين قتلاها رئيس نقطة بوليس فى السادسة والخمسين هو ديك همفرى .. وفى اعترافاتها للبوليس قالت : لقد اغتصبنى الرجال اثنتا عشرة مرة فصممت أن انتقم واشتريت مسدسا صغيرا أخفيته فى حقيبة يدى وبدأت استدرج الرجال واحدا بعد آخر .. ثم أصبحت النقود التى أحصل عليها هى مصدر دخلى الوحيد لأنفق على نفسى وعلى عشيقتى الحبيبة تيريا .

□ □ □

وكان لروسيا نصيب فى هذه الوليمة من الأخبار المرعبة فنقلت إلينا الأزفستيا أخبار السفاح جاليبيف الذى كان يقتل ضحاياه ويأكلهم وانتهى به الحال إلى مستشفى الأمراض العقلية .. والسفاح الآخر اليسكى سوكليتين الذى كان يدعو أصدقاءه فى ولائم باذخة يقدم فيها لحوما بشرية مشوية .. وقد أعدم هو وشريكته رميا بالرصاص .

وطويت الصفحات .

قلت لنفسى : ربما كانت حوادث فردية .. يحدث أمثال لها فى كل مكان .. ولكن هذه المرة .. هناك شىء جديد له دلالة خطيرة .. هو ما عبرت عنه المرأة فى حديثها مع المذيع عن جريمة الأتوبيس .. وهى تروى له كيف كانت تبكى من الغيظ .. وهى تتلفت حولها فى وجوه الركاب والمجرم يباشر جريمته البشعة .. فتجد من تشاغل بالنظر فى صحيفة بيده .. ومن فتح كتابا وأخفى فيه وجهه .. ومن أشاح ببصره إلى النافذة .. ومن أسرع إلى باب الأتوبيس لينجو بنفسه .. وهى تصيح بالمذيع :

ـــ سيدى .. ماذا جرى فى الدنيا .. ماذا حدث لنا ، ما هذه اللامبالاه ؟ .

□ □ □

ما هذه السلبية ؟ .. ما هذا البرود امام جرائم خلقية لو حدثت فى الماضى لقامت بسببها حروب .. هل هذا البرود جزء من التطور والتقدم والتحضر والتمدن .. هل هو إحدى واجهات مجتمع العلم والتكنولوچيا ؟ .

□ □ □

قلت لنفسى وأنا أغمض عينى لأبتعد بخيالى عن تلك المشاهد : لا أظن ان أى علم ولا أى تكنولوچيا سوف تغنينا عن مكارم الأخلاق .. ولا أحسب أن مجتمعنا يمكن أن يستمر قائما بمجرد العلم والتكنولوچيا وبمجرد وسائل القوة .. ودونما خلق أو فضيلة .

ثم أن هناك فارقا كبيرا بين انحرافات أخلاقية تجرى فى السر من وراء الجدران ولا يقوى مرتكبوها على المجاهرة .. ولون آخر من الانحرافات يجرى جهرا وعلنا فى الشوارع والمنتديات .. وفى حماية الشرطى .. الذى يعود بالولد المضروب والمعتدى عليه إلى صاحبه ليستأنف الاثنان مشوار الجنس الشاذ الذى يمارسانه .

ويقول الشرطى للشاكية .. لا نستطيع أن نتدخل فى الاختيار الجنسى للناس .

ثم يقول لها .. لا تشغلى بالك .. ففى مثل تلك الحالات يكون ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب ويصبح الشرطى كالعزول الثقيل الظل الذى يدس أنفه فيما لا يعنيه .. مالنا ومالهم .

والسؤال هو :

هل الشرطى لو أنه تدخل لردع المعتدى سيكون شأنه شأن من يتدخل فيما لا يعنيه .

وهل اصبح أمر الشذوذ الجنسى أمرا لا يعنى المجتمع ولا يعنى أحدا .

إذا صح هذا الافتراض .. فلماذا الشذوذ مباح فى أمريكا لمن شاء من الشباب فيما عدا شباب القوات المسلحة .. فمن كانت فيه تلك الوصمة لا يقبل فى الجيش الأمريكى .

أليس فى ذلك اعتراف ضمنى بأن الشذوذ يفقد الرجل لياقته كرجل فلا يعود صالحا لحمل السلاح ومباشرة مهام الرجولة مثل باقى الرجال .

فكيف يتعامل القانون بوجهين ومكيالين فى قضية واحدة .. يبيح هنا .. ويحرم هناك .

ثم ألا تتداعى الانحرافات فتؤدى الواحدة إلى الأخرى .. الشذوذ يؤدى إلى المخدرات والمخدرات تؤدى إلى الجريمة .. ثم ينزل الإنسان فى النهاية إلى الحضيض .. إلى حضيض القتل وأكل الضحايا ونهش الأعضاء الآدمية .

ألا تبدأ الشرور كلها كما تبدأ الكذبة الأولى على استحياء ثم تتأصل فى النفس وتستولى على الإرادة وتستعبد العقل وتجاهر وتتبجح وتفلسف نزواتها ثم يتحول الإنسان إلى وحش كاسر يفعل أى شىء .

والذين أباحوا الانحراف ظنا منهم أن المنحرف مريض نفسى والمريض أولى بالشفقة .. ألم يقلبوا الأوضاع .. فجعلوا المجرم أولى بالشفقة من ضحيته .

ثم ماذا كانت النتيجة .. لقد تحول المجتمع إلى مسرح للعبث واللا مبالاه وتحول الشرطى إلى شريك فى العملية الإباحية يعود بالولد إلى صاحبه وهو مضروب وفاقد للوعى ليستأنف الاثنان عملية الضرب اللذيذ .. ولا يملك أن يفعل شيئا لأن القانون لا يتدخل فى الذوق الجنسى للناس .. والناس أحرار !!.

وهل المنحرف يباشر حرية .. أم أنه فى حقيقة الأمر فاقد

لحريته وعبد مستعبد لشهوته ونزواته .. وهل طلب الشهوة من غير وجهها حرية يدافع عنها القانون ويحرص على توفيرها للناس ؟.

أسئلة .. وأسئلة .. وأسئلة .

ولا شك أن هامش السماح الذى نلاحظه الآن فى أوروبا وأمريكا فى مسائل الجنس وفى إمتاع النفس وفى ترك الحبل للهوى على الغارب قد بدأ يجر الشباب ويجر المجتمع كله إلى منحدر خطير .

وحينما يصبح المجتمع ذات يوم ولا أحد ينكر المنكر ولا أحد يعرف المعروف .. ويصبح الناس ذات يوم وهم لا يتناهون عن انحرافاتهم .. ولا يتناصحون على نجاتهم .. فتلك بداية النهاية .

قد يعتقد البعض أن الأمم العظمى لا تموت لمثل تلك الأسباب .. وأن روسيا كدولة عظمى حينما انتهت كان السبب هو الانهيار الاقتصادى وليس الانهيار الأخلاقى .

وأن أمريكا وأوروبا ستظل على مقعد القيادة والريادة إلى ما شاء الله رغم ما بها من انحلال .. وستكون لها السيادة إلى يوم القيامة .

□ □ □

والذين يرون هذا الرأى لا ينظرون إلا لمسافة قصيرة تحت أقدامهم .. فصحيح أن الموت الفجائى للأمم لا يحدث إلا بهزيمة عسكرية أو انهيار اقتصادى ولكن هناك موت آخر بطىء يعمل عمله فى الأنسجة ببطء مثل صدأ الحديد أو تسوس الأسنان لكن النهاية مؤكدة وهى تآكل الهيكل وسقوطه أخيرا بفعل « البارومة » .

□ □ □

والذين يظنون أننا بمنجاة من تلك النهاية لأن عندنا دين وعندنا أخلاق واهمون . فحقيقة الأمر أن حظنا من الدين قليل

والتدين عندنا أكثره كلام ومظاهر ، كما أن حظنا من الأخلاق أقل .. وأهم من ذلك كله أننا نسير على نفس الدرب ونهتدى بنفس البوصلة وبنفس المؤشرات الغربية .. والفرق بين الانحلال عندنا والانحلال عندهم هو فارق فى الدرجة فقط .. ولكننا على طريقهم .. وسنصل غدا إلى ما وصلوه اليوم ان لم يحدث ما يؤدى إلى تغيير البوصلة وتغيير المؤشرات .

والوعى بهذه الحقيقة هو بداية الإصلاح .

أما النظر إلى النفس فى غرور والظن بأننا أحسن وأفضل وأننا الموعودون المختارون المفضلون عند الله .. وأن لنا عند الله الحسنى .. دون عمل .. ودون خلق .. فهو الأمل فى سراب .

والذين يرون هذا الرأى .. أقول لهم .. أبشروا بسوء المصير .. فلا فى الدنيا لكم نفير .. ولا فى الآخرة نفير .. أبشروا بالخسارة فى الدارين .

انهم فى أوروبا وأمريكا على الأقل .. قد ارتفعت لهم فى الدنيا راية وعلا لهم صوت .. وان كانوا يسيرون حثيثا إلى نهايتهم .

أما الجنوب المتخلف فى كل أرجاء العالم فهو مغروس فى أوحال الفقر والتخلف والجهل .. والعجيب أنه يستهدى فى مسيرته بنفس المؤشرات ويتحرك على نفس الدرب الذى أخذه عن السادة « نقل مسطرة » .

ولا أرى أملا ولا مخرجا .. إلا فى ظهور مؤشرات لحضارة جديدة .. حضارة تعود فيها القيم ومكارم الأخلاق والدين الحق إلى الصدارة دونما إهدار لمكتسبات العلم والتكنولوجيا ودونما إهدار لما اكتسبه الفرد من حريات وضمانات بل تكون غايتها المزيد من ذلك .

هل تخرج تلك الحضارة مرة أخرى من مخاض الحروب والآلام ومن رحم الدمار ومن مقبرة الحضارة الحالية ؟.

ام سوف تخرج بظهور قيادات جديدة مستنيرة يصنعها الله على عينه يجتمع حولها الناس حبا وتطوعا لا خوفا وقهرا ؟ .

أرجو أن تكون الثانية .. فإن العنف فى العادة لا يؤدى لغير العنف .. وعلاج الشرور بالشرور لا يؤدى لغير الشرور .

والسؤال :

أيحدث هذا التطور السلمى وفى ترسانة إسرائيل كل هذه القنابل الذرية والكيمائية والميكروبية وتحت يدها احتياطى ثلاثة ملايين جندى وحقد خمسة آلاف عام ؟ .

يقول القرآن الكريم عنهم :

« إن فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه » .

أى أنهم لن يبلغوا الشأو الذى يشبع هذا الكبر أبدا .

وهم عائدون إلى حجمهم مهما علوا .

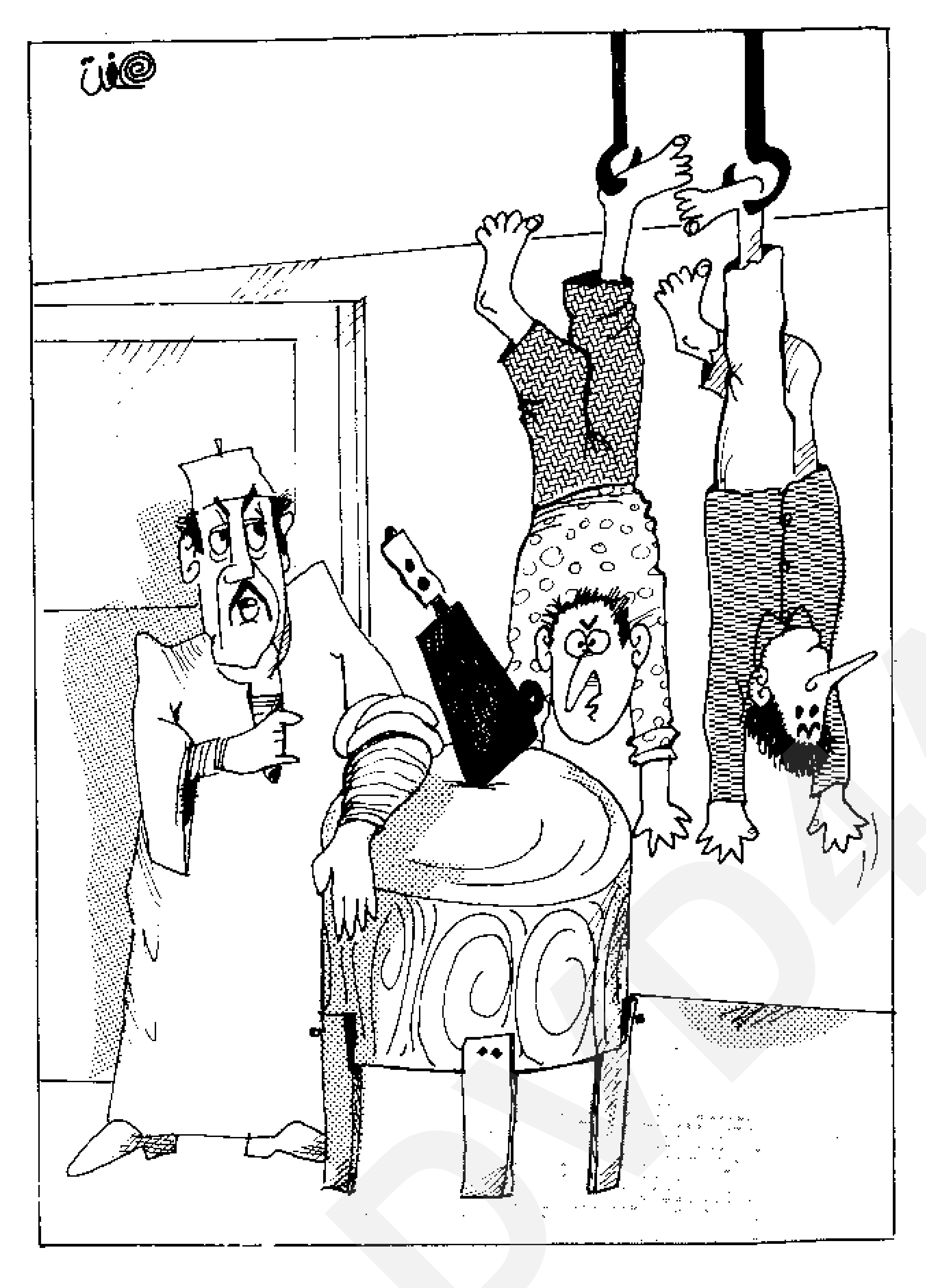
هذا كلام الله الذى خلقنا وخلقهم .

□ □ □

وتفسير هذا الكلام سيكون بطول وعرض ما بقى من التاريخ وهو حكاية المستقبل .

ونسأل الله اللطف .

□ □ □



الحـــرب القـــادمة ..
وهل تقوم قبل السنة الألفين ؟

الحساب الختامي لحرب الخليج .. خسائر على طول الخط لكل العرب ومكاسب على طول الخط لإسرائيل وأخواتها أمريكا وانجلترا وفرنسا وباقي الحلفاء .. فهم يشترون البترول الآن بسعر أقل ، وشركاتهم العاطلة تعمل لإعادة بناء الكويت وتقبض ثمن البناء كما قبضت من قبل ثمن الهدم وفائض المال العربي ذهب في تغطية فواتير الحملة العسكرية .. وأمريكا التي كانت لها ضيافة في المنطقة أصبحت لها إقامة دائمة وصوت حاكم .

والعرب الذين تمزقت وحدتهم أصبح من السهل جرجرتهم إلى مدريد للجلوس مع إسرائيل وقبول الفتات إذا شاءت إسرائيل أن تلقي إليهم بالفتات .

ولا تلقي إسرائيل بالفتات بل ترفض على طول الخط .. ترفض الانسحاب ولو شبرا واحدا وترفض تجميد بناء المستوطنات .. وتخرج الأحزاب الدينية من الحكومة لأنه

جاء ذكر الحكم الذاتي فى الصحف .. وتشن إسرائيل الغارات على جنوب لبنان وتلقى قنابلها على الفلسطينيين واللبنانيين .. وتطرد ١٢ فلسطينيا من اراضيهم فى تجبر عجيب .. وتغتال الشيخ عباس موسوى زعيم « حزب الله » اللبنانى هو وزوجته وابنه .. والسلسلة مستمرة .

ودولة الإمارات التى أفلتت من دمار الحرب استدرجوها إلى مذبحة بنك الاعتماد والتجارة ونهبوا منها المليارات .

والأكراد المسلمون فى النفي والشتات نهبا للجوع والبرد تطاردهم قوات صدام حسين فى كل مكان .

وصدام حسين الذى أجمع الكل على أنه السبب المباشر والوحيد للمأساة .. مازال على رأس عصابته يحكم ويأمر ويشنق ويعدم فى شعب عراقى أعزل يسف التراب وفى اسرى كويتيين يموتون فى الزنازين .

من الذى عاقبته أمريكا بهذه الحرب إذن ؟ !! .

ومن الذى جمعت له خمسا وعشرين دولة ؟ ! .

ومن الذى أطلقت عليه الرصاص ؟ ! .

وماذا كان هدف الحرب إن لم يكن عقاب المعتدى ؟ ! .

الواقع يقول أن كل العرب هم المعاقبون .. بلا استثناء .. من فلسطين شرقا إلى الجزائر غربا .. حتى الصوت الإسلامى اليتيم الذى ارتفع فى الجزائر من نوافذ شرعية تصاعد فى اثره الضجيج والعجيج من جميع الأبواق الغربية ودقت طبول الاستنكار فى فرنسا حتى خنقت الصوت فى مهده .

وأمريكا صاحبة أكبر دعوة للديمقراطية .. وانجلترا التى تدعى أنها علمتنا الديمقراطية وفرنسا الحرية والعدالة والمساواة .. تنكروا جميعا للديمقراطية الجزائرية حينما رأوا أنها ستأتى لهم بما لا يعجبهم .

من الذى عوقب فى هذه المواجهة التاريخية !! ؟ .

□ □ □

ان صدام حسين المجرم الحقيقى كان عميلهم (كان عميلا لأمريكا فى ضرب الثورة الإسلامية فى إيران وكان عميلا لفرنسا فى الحرب الأهلية فى لبنان وكان يسلح الماريشال عون المسيحى الكتائبى فى حربه الدموية مع جعجع بناء على تعليمات فرنسا) وقد دخل صدام الكويت بضوء أخضر أعطته له السفيرة الأمريكية أبريل جلاسبى .

لقد كان الفخ مجهزا من البداية .

وترسانة صدام كلها كانت بضاعة فرنسية وانجليزية وأمريكية وألمانية .

حتى الماء الثقيل واليورانيوم المخصب وأدوات الحرب الجرثومية كانت من عندهم .

لقد سلحوه لانهم يعلمون أن حربه ستكون علينا نحن لا عليهم ولا على إسرائيل .. وان الخراب الذى سيحدثه سيكون لحسابهم ولصالحهم .

وقد دمروا كل شيء فى العراق إلا صدام حسين .

وليست صدفة أن يخرج المجرم الوحيد المسئول عن المأساة سليما معافى .. وليست صدفة أن يبقى إلى الآن سليما معافى لنظل مهددين بجنونه وفى حاجة إليهم وإلى معونتهم ونجدتهم طول الوقت .

يا إخوة ليس صحيحا أبدا أن الغرب صديقنا .. انه صديقنا فقط مادامت هذه الصداقة فى صالح ميزانه التجارى .

لقد قالوها فى إذاعاتهم وفى صحفهم حينما سقطت الشيوعية فى روسيا .

قالوا .. اليوم انتهينا من الشيوعية .. ولم يبق للغرب عدو سوى الإسلام .

وحينما جاء الإسلام يبحث عن مقعد على مائدتهم وبشروطهم .. وبشروط اللعبة الديمقراطية التى يريدونها

رفضوه . رفضوا الديمقراطية التى أتت به . انها حرب تاريخية ضدنا عمرها ألف عام .

ونحن لا نبادلهم العداوة .. بل نبذل لهم الصداقة والود ونأخذ عنهم العلم والفكر ونمجد فنونهم وفلسفتهم .. ولا نفكر أن نحاربهم أو نفرض عليهم إسلامنا .. وإذا عرضنا عليهم فكرا أو فنا عرضناه فى استحياء وخجل .

ولكن الحقيقة المريرة يا سادة .. أن الغرب قلبا وقالبا مع إسرائيل .. هو الذى زرعها فى قلب المنطقة العربية وهو الذى يرعاها وهو الذى يمولها ويسلحها وإذا كانت لنا نجاة .. أو كان لنا مخرج وحيد فهو .. أن نتماسك ونتحد رغم الجراح ونعود جبهة واحدة .. ليس لنعلن الحرب على الغرب .. بل لندافع عن أنفسنا .

إننا متهمون أبدا بتهمة لم نرتكبها هى العداء للغرب .. مع ان التاريخ يقول العكس .. فالحرب الصليبية جاءت منهم والعدوان الاستعمارى جاء منهم .. ورغم اننا وقفنا مع الحلفاء فى الحربين العالميتين الأولى والثانية .. فقد اقتسمونا كتركة مستباحة وإرث مشاع وقطعوا أوصالنا بعد كل حرب .

□ □ □

وقد رضينا بالقسمة والقضاء ولم يرضوا وسكتنا على الغبن ولم يسكتوا .. وقد أرسلوا علينا مطاريد اليهود من كل مكان وسلحوهم وساندوهم . وما زالوا .. واليوم يجرعوننا سلاما لا سلام فيه .

وقد ارتضينا أن نتجرع أى سلام .. ولكن إسرائيل لم ترض لنا أى سلام .

ونحن لا نريد اى حرب مع الغرب ولا نفكر فى أى حرب ونرى ان أى حرب مع الغرب حماقة بلا جدوى ، فنحن لا نريد من الغرب شيئا وقد ارتضينا حكم الأمم المتحدة فى خلافنا مع

إسرائيل ، فما وجه التهمة المفتعلة التى علقوها فى رقابنا .. تهمة عدائنا للغرب ومحاربتنا للغرب .. إلا أن تكون ذريعة لأمر يكتمونه أو تجمع يبيتونه .

لقد التقى أفاعى الصهاينة مع الأفاعى من متطرفى الانجيليين الأمريكيين على حلم يسمونه معركة « هرمجدون » يشعلونها على أرضنا يقضون بها على كل ما هو عربى .. وقالوا فى زعمهم أن المسيح لن ينزل من السماء إلا بهذه المعركة .. ووجدوا من يصدقهم فى كل ملة منحرفة .

والبهائيون يقولون قولهم .. وكذلك أتباع برج المراقبة وشهود يهوه .. وغيرهم من أهل السذاجات والهلوسات (والحمد لله ان أقباط مصر وكنيسة مصر ضد هذه الفرية) .

□ □ □

وقد وجدوا فى رونالد ريجان رئيس أمريكا السابق أذنا تسمع لهم وتصدقهم .. وكان ريجان نفسه يردد نبوءاتهم .. والذى كان يسفه لهم تلك الخرافات كانوا يدخلون له من باب آخر هو الخوف من الإسلام .. والخطر القادم من ناحية الإسلام .. والعداوة التى يضطرم بها قلب كل مسلم .. وما كان هناك من أحد يغذى تلك العداوة سواهم ، وما كان هناك من أحد يشعل فتيل تلك الكراهية سواهم .. فهم صانعوها منذ أيام خيبر .

وهذه الخلفية من العداوة من خلفهم يبثها عملاؤهم فى كل مجلس وينفثون سمومها فى كل مجال ويرددونها فى صحفهم وكتبهم ومنشوراتهم حتى استقرت كحقيقة ثابتة فى العقل الغربى وبات كل سياسى غربى يعتقد أن أى إحياء إسلامى معناه الحرب والوبال على الحضارة .

أى خطر كانت تشكل أفغانستان المسلمة على روسيا السوفيتية لتنقض عليها هذا الانقضاض الوحشى وتدكها دكا بالقنابل والدبابات والطائرات وجحافل الجيش الروسى .

ولماذا استعملت امريكا الجهاد الافغانى الإسلامي لضرب روسيا فلما سقطت روسيا كفت يدها عن مساعدة المسلمين ووقفت مع عدوهم اللدود نجيب الله الشيوعى وقطعت عنهم كل شيء حتى المعونات الغذائية .. وتكاتف الكل روسيا وأمريكا ضد هذه القلة المسلمة .

□ □ □

أى خطر تشكل تلك القلة المسلمة لتتحالف عليها كل الجبهات لتجرعها سلاما روسيا أمريكيا يجهزونه فى موسكو بمواصفاتهم ؟ !

وأى خطر على الحضارة كان يشكل وصول الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى الحكم فى الجزائر بطريق ديمقراطى وبضمانات ديمقراطية ؟ ! .

إنه الخوف القديم من كل ما هو إسلامي .. والخطر الذى صورت به الصهيونية كل إحياء إسلامي ودمغت به كل صوت إسلامي .. والعقدة التى نجح اليهود فى غرسها فى العقلية الغربية .. ان المسلمين هم تتار المستقبل المخربون أعداء الحضارة .

□ □ □

لا أنكر ان بعض الدعاة الإسلاميين ممن ليس عندهم أدنى نصيب من الإسلام كانوا دعاة عنف .. ولكن من قال إن كثرة المشعوذين فى الأطباء تعنى أن نحارب الطب ونقضى عليه .

لقد سمعت بأذنى فى إذاعة الـ B.B.C. النشرة الانجليزية تتصيد فقرة عدوانية من خطبة جمعة فى جامع جزائرى لتثير بها الدنيا .. ولا شك ان العبارة كانت لها سياق وكانت لها مناسبة .. ولكن النشرة التقطت الكلمات معزولة عن سياقها ومناسبتها لتفجر بها رد فعل عالمي سيىء .. وكان هذا الأسلوب المتحامل من معد النشرة يدل على نية الإساءة المسبقة والتشويه العمد المقصود .

وشعرت بالحزن والأسى .. فها هم اولاء يصطنعون عداوة من لا شيء .. ويختلقون صورة بربرية همجية للإسلام ليبرروا لأنفسهم إعلان الحرب عليه ويجمعون الشواهد على تحاملهم من كل شاذ ومنحرف ومريض القلب .

وأيقنت أن هناك أيادى كثيرة تمهد الطرق فى الخفاء لمواجهة أيادى كثيرة فى كل إذاعة وفى كل صحيفة وفى كل معلومة تبثها للقارىء والمستمع والمشاهد .. وان أعداءنا أكثر بكثير مما كنت أتصور وانهم يبذرون الشوك من الآن .. ويسممون منابع المياه .. ويزرعون الألغام فى طريق كل محاولة للتفاهم والتقارب .

واننا قد نستطيع بحسن السياسة أن نؤجل هذه المواجهة .. ولكنها قادمة .. إن لم يكن فى المدى القريب .. فهى حتما قادمة فى المدى البعيد وقبل العام الألفين من هذا القرن .

ولكن الدائرة هذه المرة سوف تدور عليهم .. فعلى الباغى دائما تدور الدوائر .

□ □ □

وخطأ الإسلاميين أنهم تصوروا أن الإسلام لن يباشر الإصلاح والتغيير فى العالم إلا إذا جلس على كراسى الحكم ولهذا أصبحوا يطلبون الكرسى أولا ويسعون إلى السلطة أولا .

وقد أخطأ بعضهم أكثر حينما سعوا إلى الحكم عن طريق العنف والانقلاب فأعطوا مثالا سيئا ونموذجا خاطئا للمنهج الإسلامى .

والذين سعوا منهم إلى الحكم من خلال قنواته الشرعية فقام فى وجههم العالم ظنوا أن الأبواب أغلقت فى وجه الإسلام وأسقط فى يدهم . والحقيقة أن الإسلام يباشر دوره الإصلاحى فى العالم منذ الف سنة وينتشر دون أن يستخدم

السلطة ودون أن يصل إلى كراسى الحكم .

الإسلام انتشر فى الهند والصين ودخل آسيا من خلال تجار مسلمين لا سلطة لهم ولا جيش ولا خكم .. وكل ما فعلوه أنهم كانوا قدوة وكانوا أمثلة طيبة أحبها الناس .. فسألوهم .. من أنتم وما دينكم .. فقالوا نحن مسلمون ديننا الإسلام .. فقالوا لهم .. علمونا دينكم .. فعلموهم .

□ □ □

وهكذا ظل الإسلام يعمل وينتشر خلال ألف سنة بقوته الذاتية وبتأثيره على ضمير الفرد .. ودون حاجة إلى السلطة .. وهو باب سيظل مفتوحا على مصراعيه إلى قيام الساعة .. ولا قبل لأحد بإغلاقه .

□ □ □

وحسب المسلم أن يكون قدوة ومثالا فسيكون بذلك أقوى من كل الفاتحين وليقم الغرب ويقعد فلن يستطيع أن يحجب ما بالإسلام من نور ذاتى وسيكون للإسلام ختام الكلمة رغم كل شيء .

□ □ □



■ الفهـــــرس ■

□ □ □

رقم الإيداع : ١٩٩٢/٢٨٥١

الترقيم الدولي : I.S.B.N- 977- 08-0373-X